الجامعة الاسـلامية – غـزة
عمــادة الدراســات العليــا
كليـــــــــــة الآداب
قــسم اللغــة العربيــة

الشهادة وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد عام 1967

إعـداد
الباحث : أحمد موسى زعرب

إشــراف
د. كمال غنيم

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

1429هـ 2008م

إهـــداء

إلى جميع شهداء الشعب الفلسطيني الذين عطروا بدمائهم الزكية ثرى الأرض المباركة..

إلى الأسرى والجرحى الذين جسدوا بصمودهم معاني الصبر والرباط ..

إلى والدي وروح والدتي وأخواني وأخواتي..

إلى زوجتي وابني وبناتي..

إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث..

إليهم جميعاً... أهدي هذا البحث

الباحث/

أحمد موسى زعرب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونسأله صدق النية في القول والعمل، والإخلاص في الأمر كله، والسداد والثبات على الحق، والعزيمة والقوة في السعي والجهاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فلسطين ثم فلسطين، أحببت أن أبدأ حديثي بهذا الاسم الذي أعشقه، فهي وطني وكياني وحياتي وأهلي، فلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى في هذا العصر، وهي حاضنة الأقصى مسرى الرسول -صلى الله عليه وسلم- أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

فلسطين تلك البقعة المقدسة الطاهرة المباركة التي دنسها واغتصبها يهود، ففي حزيران (يونيو) عام 1967م ألمت بالأمتين العربية والإسلامية فاجعة أليمة، وكارثة جسيمة، حيث وقعت فلسطين كاملة في الأسر الصهيوني بعد وقوع معظمها في عام 1948، ونتيجة لذلك سادت الأجواء العربية والإسلامية حالة من اليأس والضياع، لم يخفف من حدتها – ولو بشكل نسبي- إلا حرب أكتوبر عام 1973م.

لقد كان لحرب أكتوبر آثارها الإيجابية في رفع الروح المعنوية عند أبناء الأمة العربية عامة، وعند الفلسطينيين خاصة، فقد نشطت العمليات الفدائية التي كانت تقوم بها الأجهزة العسكرية التابعة للتنظيمات الفلسطينية مما كان له الأثر في إذكاء روح الصراع العربي الإسرائيلي، وإحياء القضية الفلسطينية على مر الأيام.

ومرت السنون سريعاً، فلاح في الأفق فجر الأمل، فأخذ يبدد سحب اليأس ، وضباب الضياع حينما انتفض الفلسطينيون عام 1987م وفرضوا أنفسهم كمشروع مقاومة، فنقلوا القضية الفلسطينية نقلة نوعية فُرضت على أجندة الأمم المتحدة وساسة العالم، وأسفر ذلك عن عقد اتفاقية (أوسلو) بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل عام 1993م، فهدأت أجواء الصراع، ثم تبع ذلك عقد اتفاقيات أخرى خيبت آمال الشعب الفلسطيني حتى اندلعت انتفاضة الأقصى عام 2000م، والتي حولت المواجهة مع العدو الصهيوني من الحجر والمولتوف والعصيان المدني إلى عمليات عسكرية استخدم فيها الفلسطينيون السلاح والصواريخ وترتب على ذلك انسحاب الصهاينة من قطاع غزة في شهر سبتمبر 2006م.

حين كنت أفكر في اختيار موضوع بحثي لأنال به درجة الماجستير، عقدت العزم على أن يكون لهذا الموضوع علاقة بفلسطين الحبيبة، فاخترت الأدب الفلسطيني، وأردت أن أكون أقرب إلى فلسطين، فاخترت شعر الشهادة، فالشهادة طريق التحرير وطريق الجنة.

ولعلي أُجمل أسباب اختياري لموضوع البحث بالعناصر الآتية:

أولاً: أنا مسلم عربي فلسطيني، أعيش في قطاع غزة، فمنذ نعومة أظافري وإلى الآن، عشت أيام الاحتلال بمرها وآلامها، فعانيت كما يعاني كل فلسطيني من سجن وحرمان ومحاربة في الرزق، مما كان له الأثر في نفسي وتوجهي نحو هذا الموضوع.

ثانياً: نشأت وتربيت في المسجد منذ صغري، فتشربت القيم والمبادئ الإسلامية والتي منها أن الدفاع عن الوطن شرف عظيم، وعبادة تقرب إلى الله، والتضحية والجهاد ذروة سنام الإسلام، فلهذا اتجهت إلى شعر الشهادة.

ثالثاً: مطالعتي للشعر الفلسطيني المعاصر، الذي تناول النكبة والنكسة، وتغنى بالوطن، وتناول موضوع الشهادة وفضل الشهداء، جعلني أعيش مع ظلال هذا الشعر، وأحس بنبضات ألفاظه، وجمال تراكيبه، وإيحاءات تعبيراته، وومضات عواطفه، فسكن هذا اللون من الشعر عقلي، واستقر في فؤادي وجرى في عروقي.

رابعاً: أنا أعشق الشهادة، لأنها مرتبة إيمانية عالية، لا يصل إليها إلا من اختارهم الله تعالى لينالوا شرفها (ويتخذ منكم شهداء) وكم من أناس كنت أعرفهم، وأحسب أن الله اختارهم لشدة إخلاصهم – ولا أزكّي على الله أحدا- لا زال لهم في قلبي مكانة حب، وأثر وفاء، فأتذكرهم كلما قرأت هذا اللون من الشعر.

وتجدر الإشارة إلى أنني في أثناء كتابتي لهذا البحث، وجدت كتاب (صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر) للدكتور عبد البديع عراق، وهو عبارة عن رسالة دكتوراه، هذا وقد أفدت منه كثيراً، وحاولت أن أتناول الموضوع من جوانب أخرى لم يتناولها هذا الكتاب، وأن أُبرز شعراء لم يتناول الباحث أشعارهم بالدراسة.

أما الصعوبات التي واجهتها في أثناء بحثي فهي قلة المصادر، فقد بذلت الجهد الكبير للحصول على ديوان شعرٍ أو مرجعٍ للإفادة منه، وكم من كتب قرأت ولم أجد فيها بغيتي.

هذا وقد اخترت عنواناً لهذا البحث: (الشهادة وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد عام 1967)، وقمت بتقسيمه بعد التمهيد إلى أربعة فصول، تبعها خاتمة، فتحدثت في التمهيد عن ثلاثة موضوعات أساسية هي:

1. فلسفة الحياة والاستشهاد في الإسلام: وقد بينت أن فلسفة الحياة في الإسلام مبنية على سعادة المسلم في الدارين: الدنيا والآخرة، وبينت كيف يتم تحقيق هذه السعادة.

أما فلسفة الاستشهاد في الإسلام: فرأيت أن الاستشهاد يحفظ دماء المسلمين ويقضي على الظلم والفساد.

2. الدفاع سنة كونية: وهدفها استعادة الحقوق المسلوبة وإعزاز دين الله فـي الأرض، وتحقيق الحياة الكريمة.
3. الإرهاب: وتحدثت فيه عن معنى الإرهاب، وبينت فيه أن الإسلام دين رحمة، وأنه يرفض كل إرهاب مبني على الظلم كالإرهاب الإسرائيلي.

ودار الجهد في الفصل الأول على هزيمة حرب 1967 وآثارها، فتحدثت في البداية عـن دوافع اندلاع الحرب وأهدافها ونتائجها، ثم تحدثت عن حرب 1973، ثم سردت سـرداً تاريخيـاً موجزاً للمراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية، ثم اتبعت ذلك بالحديث عن التحولات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية في الواقع العربي والفلسطيني.

وجاء الفصل الثاني ليتناول تجليات شعر الشهادة على مستوى المضمون، فعرفت الشهادة لغةً واصطلاحاً، ثم تناولت الشهادة من زوايا مختلفة كالتالي:

1- الشهادة والنكبة والهزيمة: وقد أظهرت مرارة هذه الهزيمـة وآلامهـا مـن خـلال النصوص المعروضة.
2- الشهادة والمنفى: وقد عرضت النصوص الشعرية التي تتحدث عن المنفـى، والتـي يشكو فيها أصحابها من آلام الغربة، فيمزجون شجونهم بحنينهم إلى الوطن، وبحلمهم بالعودة إليه، وربطت ذلك بالشهادة.
3- الشهادة والقتل والمدافعة: وقد أبرزت من خلال النصوص الشعرية المختلفـة كيـف فرض الواقع الأليم نفسه على أحاسيس الشاعر، فحول شعره إلى أداة حـرب، وقـد وصل الأمر ببعض الشعراء لأن يكون هو المدافع والمقاوم والشهيد.
4- الشهادة والنظام العربي الرسمي والشعبي: وقد اخترت نـصوصاً شـعرية انتقـدت الأنظمة العربية الحاكمة، وجيوشها المعطلة، أما على المستوى الشعبي فقد أظهـرت النصوص الشعرية أن الأمة العربية لم تتأثر بالمذابح التي ارتكبت بحق الفلسطينيين.
5- الشهادة والحالة الاجتماعية: وقد أبرزت من خلال النصوص الشعرية أسطورة الشعب الفلسطيني البطولية الذي واجه سياسة الحصار والتجويع والتهديد والتدمير والتعذيب.
6- الشهادة والحالة الوطنية: وقد أوضحت من خلال النصوص الشعرية التي عرضـتها مدى تعلق الفلسطينيين بوطنهم، وتضحياتهم من أجل تحريره.
7- الشهادة والحالة الدينية: وقد أبرزت النصوص الشعرية المختارة أثر الدين الإسـلامي في دفع عجلة الجهاد إلى الأمام، وتشجيع المقاومة.

8- ثقافة الاستشهاد: وقد تناولت الحديث عن هذه الثقافة عند الفلسطينيين مـن جوانـب عديدة: منها ما يتعلق بعقيدتهم وإيمانهم، ومنها ما يبرز بعض الصور التي تعزز هذه الثقافة، ومنها الدور الإعلامي في نشر هذه الثقافة، ومنها الدعم المـادي والمعنـوي الذي يدعم هذه الثقافة.

أما الفصل الثالث فقد عالج شعر الشهادة من الناحية الفنية، فتناول الجوانب التالية:

1- اللغة: وقد بينت أن الجمال هو وظيفة اللغة عندما تدخل في صناعة الشعر، ثم ذكرت سمات اللغة في شعر الشهادة.

2- المثيرات الأسلوبية: وقد توقفت عند بعض المثيرات الأسلوبية كتكرار بعض الألفـاظ والمشتقات، أو الانتقال من جو إلى آخر مختلف، أو الاقتباس أو الحكمة، أو استخدام ألفاظ مبتذلة أو شعبية عامية، أو الاهتمام بالقافية على حساب المعنى.

3- الصورة الفنية: وقد تحدثت عن أهمية التصوير في الـشعر، وذكـرت أن الـصورة المبتكرة المبدعة هي الأكثر قبولاً وإعجاباً عند المتلقي، ثم بينت أن الشاعر الفلسطيني رسم صوراً عديدة للشهيد.

4- الإيقاع والموسيقى: وقد بينت أن الوزن والقافية من أهم عناصر الموسيقى الـشعرية، وأن الأصوات الشعرية قد تعددت لتعدد البيئات والثقافات.

وفي الفصل الرابع والأخير تناول الباحث موضوع التفاعلات النـصية، وذكـرت أن الشاعر الفلسطيني وظف التراث في إطار الإسقاطات السياسية، وأن التناص برز واضحاً من خلال استدعاء الشخصيات التاريخية أو الأسماء الأسطورية، أو طـرق موضـوعات سابقة معروفة في التاريخ، أو ذكر المعارك والحروب، أو أسماء الأماكن، أو الاقتباس من القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة أو الشعر أو الأمثال الـشعبية، أو توظيـف صـفات الكائنات المحيطة.

ويزعم الباحث أنه يختر النصوص الشعرية على أساس شهرة الشاعر، وإنمـا كـان اختياره لهذه النصوص كان على أساس إبراز الفكرة وتوضيح المعنـى الـذي أرادهـا، ويزعم أيضاً أن من حسنات هذا البحث إبراز بعض الشعراء المغمورين كما يرى كثيـراً من الأشعار التي تناولها لم تدرس ضمن أبحاث أكاديمية، وهذا إن صح يعد إنجـازاً قـد حققه الباحث.

هذا و مزج الباحث النقد الفني للشعر وقضاياه بقضايا شعبه وهمومه، وأن تأثير هـذا اللون من الشعر قد تفاعل مع كيانه فانعكس ذلك في تحليله للنصوص الشعرية.

وأخيرا أسجل ملاحظة وهي أن عدم ذكر شاعر من الشعراء أو عدم اختيار شعر من قصائده ليس مقصوداً، ولا أريد أن أضع مبررات لذلك، فالبحث له محددات وطبيعـة لا يجوز لي أن أتجاوزها.

ولا يسعني هنا إلا أن أشكر الأستاذ المشرف الدكتور كمال غنيم والأستاذين الكريمين المناقشين الأستاذ الدكتور نبيل أبو علي، والدكتور عاطف أبو حمادة، كما لا أنسى جهـد أستاذي الأستاذ الدكتور يوسف رزقة.

وبعد: فقد قضيت الساعات الطوال، وبذلت الجهد الكبير، ومع ذلك فلا أزعم أنني قـد أعطيت البحث في هذا الموضوع حقه، ففوق كل ذي علمٍ عليم، والكمال لله وحده.

الباحث

أحمد موسى زعرب

التمهيد

أولاً- فلسفة الحياة والاستشهاد في الإسلام

1- فلسفة الحياة في الإسلام:

من نعم الله على الإنسان أن رزقه الحياة، فنفخ فيه من روحه، وهيأ له أسباب العيش على الأرض، ووضع له دستوراً، وأرسل إليه الرسل.

وفلسفة الحياة في الإسلام مبنية على سعادة المسلم في الدارين – الدنيا والآخرة- ولتحقيق ذلك وجب على الإنسان المسلم أن يعيش حياة الإيمان، واليقين، والتقوى، والعفاف، والطهر، والهداية ليكون في الدنيا حراً كريماً عزيزاً، فعبودية المسلم لله وحده، هو بريء من الشرك، والولاء لغير الله، لأنه " لم يخلق سدى ليتقلب في فجاج الحياة كما يهوى ويريد، بل خلق مكلفاً بوظيفة أقامه الله عليها. فإن أداها على الوجه المطلوب رفعه الله من حيث المكانة والمثوبة إلى رتبة لا يصل إليها الملائكة المقربون، وإن أعرض عنها وتناساها أنزله الله من حيث المهانة والعذاب إلى أحط الدركات"[1].

والرؤية التكاملية لفلسفة الحياة في الإسلام ترى أن الدين الإسلامي هو أهم شيء في الحياة، لأنه مصباح السعادة في الدنيا، وجسر السعادة في الآخرة. وأعظم مصيبة تصيب الإنسان أن يصاب في دينه، فيخسر دنياه وآخرته، لذا فالدفاع عن الدين والعقيدة، وحماية المقدسات، والذود عن الإنسان المسلم والأرض الإسلامية هو ذروة سنام الإسلام، ومن هنا جاءت فرضية الجهاد وإعداد القوة.

وحديث القرآن عن الجهاد في سبيل الله عميق، وبيان القرآن لميادين الجهاد وأساليبه، وصوره ومجالاته واضح جلي، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تقرر حقيقة الجهاد وتحث عليه وترغب فيه كثيرة ومتنوعة، وسيرته العطرة سيرة جهادية، حيث كانت حياته صلى الله عليه وسلم كلها جهاداً في سبيل الله، وقتالاً لأعداء الله، ونشراً لدعوة الله، وتبليغاً لدين الله.

وقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام على الجهاد، فتعمق معناه في حياتهم، وتجذر في شخصياتهم، وقرن بحياتهم، بل استغرق أعمارهم، وبذلك كانوا مجاهدين مقاتلين، رهباناً بالليل، وفرساناً بالنهار، أشداء على الكفار، رحماء بينهم.

---

(1) محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، دار الفكر، دمشق، ط2، 1997، ص30.

وعبر قرون التاريخ الإسلامي، استمرت مسيرة الجهاد قوية، ليميـز الله المجاهـدين الصادقين الذين واجهوا أعداء الإسلام، فجاهدوا جهاداً كبيراً، وصبروا وصابروا ورابطـوا، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه.

والجهاد مستمر متواصل، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل)[1]، والطائفة الثابتة الصادقة لا تزال موجودة في هذه الأمة كما أخبر أيضا عليه الصلاة والسلام:

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[2].

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان بين خيارين ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [3]، وقسم النـاس إلى فريقين ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [4]، فالشاكرون من فريق الخير، وهـو حـزب الله، والكفور من فريق الشر، وهو حزب الشيطان، ثم بين مصير كل حزب، فقال الله عن حـزب الله: ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [5]، وذكر حزب الشيطان فقـال: ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [6]، وقد سن الله تعالى أن يكون صراع مرير ومتواصل بين هذين الحزبين إلـى يوم القيامة، ولهذا الصراع توابعه ومستلزماته وأدواته وأهدافه، ومن هنا فرض الجهاد ليثبت الخير، ويحق الحق، وينشر العدل في الأرض، أما حزب الشيطان فديدنه نشر الشر والبغـي والفوضى والفساد، ومحاربة الخير لرفع صوت الباطل.

ومن الطبيعي أن يترتب على هذا الصراع نتائج منها الموت موت ودمار، وهنا لا بد من وقفة مع هذا الموت، فالموت في عرف أهل الشر هو النهاية والفناء الأبدي، بمعنى أنهم لا يؤمنون بأن بعد الموت حياة أخرى، أما الإسلام فيسمي الموت الناتج عن هذا الصراع شهادة، والمصروع يسمى شهيداً، وهذه قضية هامة جداً في دين الإسلام.

ويـرى الإسـلام، بـل يؤكـد علـى أن الـشهداء أحيـاء عنـد ربهـم، وكيفيـة ذلك وطبيعته لا ندركه نحن كبشر، بل يعلمـه الله، وكـذلك لا تدركـه الثقافـات الأجنبيـة غيـر الإسـلامية، ولا التحلـيلات الـسياسية البعيـدة عـن الثقافـة الدينيـة،

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور، حديث رقم 2532 ص424.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله: لا تزال طائفة من أمتي، حديث رقم 1920 ج3 ص1523.

(3) سورة البلد: الآية 10.

(4) سورة الإنسان: الآية 3.

(5) سورة المجادلة: الآية 22.

(6) سورة المجادلة: الآية 19.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (1)، ويقول في موضع آخر: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (2).

يقول صاحب الظلال، سيد قطب –يرحمه الله- معرفاً الحياة: " فالحياة – في التصور الإسلامي- ليست هذه الفترة القصيرة التي تمثل عمر الفرد، وليست هي هذه الفترة المحدودة التي تمثل عمر الأمة من الناس، كما أنها ليست هي هذه الفترة المشهودة التي تمثل عمر البشرية في هذه الحياة الدنيا.

إن الحياة – في التصور الإسلامي- تمتد طولاً في الزمان، وتمتد عرضاً في الآفاق، وتمتد عمقاً في العوالم، وتمتد تنوعاً في الحقيقة....

إن الحياة – في التصور الإسلامي – تمتد في الزمان، فتشمل هذه الفترة المشهودة – فترة الحياة الدنيا- وفترة الحياة الأخرى التي لا يعلم مداها إلا الله، والتي تعد فترة الحياة الدنيا بالقياس إليها ساعة من نهار!

وتمتد في المكان، فتضيف إلى هذه الأرض التي يعيش عليها البشر داراً أخرى: جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، وناراً تسع الكثرة من جميع الأجيال التي عمرت وجه الأرض.

وتمتد في العوالم، فتشمل هذا الوجود المشهود إلى وجود مغيب لا يعلم حقيقته كلها إلا الله، ولا نعلم نحن عنه إلا ما أخبرنا به الله..." (3).

نلاحظ من خلال التصور السابق أن نظرة الإسلام للحياة فيها سعة وعمق، حيث إن هذا التصور يسمو بالمشاعر، فيرسخ الأخلاق الكريمة، ويهذب السلوك، ويجذر الاعتقاد في عدل الجزاء في الدار الآخرة، وأن ما فات الإنسان في الدنيا من نعيم، فسوف يعوضه في الآخرة بشكل أفضل وأكبر، ومن هنا تدخل الطمأنينة إلى النفس البشرية فتستقيم وتتجه إلى الحق والخير والصلاح، ومن ثم تصلح الأوضاع والأنظمة والحياة.

ويرى سيد قطب أن فلسفة الجاهلية الماضية والحاضرة مبنية على مشاعر وتصورات تشبه مشاعر الحيوان وتصوراته ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (4)

" وكان الله –سبحانه- يعلم أن الاعتقاد على هذا النحو يستحيل أن تنشأ في ظله حياة إنسانية رفيعة كريمة. هذه الآفاق الضيقة في الشعور والتصور، التي تلصق الإنسان بالأرض،

---

(1) سورة البقرة: الآية 154.

(2) سورة آل عمران: الآية 169.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط9، 1980م: 2/1068-1069.

(4) الأنعام: الآية 29.

وتلصق تصوره المحسوس منها كالبهيمة. وهذه الرقعة الضيقة من الزمان والمكان، التي تطلق السعار في النفس، والتكالب على المتاع المحدود، والعبودية لهذا المتاع الصغير، كما تطلق الشهوات عقالها وتعربد وحدها بلا كابح، ولا هدنة، ولا أمل في عوض، إن لم تقض هذه الشهوات الهابطة الصغيرة، التي لا تكاد تبلغ نزوات البهيمة. وهذه الأنظمة والأوضاع التي تنشأ في الأرض منظوراً فيها إلى هذه الرقعة الضيقة من الزمان والمكان؛ بلا عدل ولا رحمة، ولا قسط ولا ميزان.. إلا أن يصارع الأفراد بعضهم بعضاً، وتصارع الطبقات بعضها بعضاً، وتصارع الأجناس بعضها بعضاً، وينطلق الكل في الغابة انطلاقاً لا يرتفع كثيراً عن انطلاق الوحوش والغيلان! كما نشهد اليوم في عالم (الحضارة).. في كل مكان".[1]

والمتعمق في هذين التصورين يجد البون الشاسع في فهم الحياة وطبيعتها وحقيقتها، وبالتالي يدرك سر التكليف الإلهي للأمة الإسلامية عندما أناط إليها مهمة الإشراف على الحياة البشرية وقيادتها لتتحقق كرامة الإنسانية في الواقع ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [2].

وأمة الإسلام أمة وسط في " التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي... تعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال... تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن، أنّى وجدها أخذها في تثبت ويقين".[3]

2- فلسفة الاستشهاد في الإسلام:

إذا كان الجهاد فرضاً شرعياً، فإن الاستشهاد ثمرة المعرفة اليقينية، فالذي يدفع المجاهد لأن يبذل نفسه ويضحي بدمه إيمانه العميق بأن أداء هذا الواجب لن يضيع سدى، وإنما أجره جزيل عند ربه ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [4].

فالشهادة ليست مجرد موت يذهب بحياة الإنسان فيفقد معها الجسد الروح التي كانت تسكنه، وإنما هي "رحمة ودعوة، وحرب على العدوان، وليس فيها ظلم ولا إرهاب، فبها تحفظ

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن: 1070/2-1071.

(2) سورة االبقرة: الآية 143.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن: 131/1.

(4) سورة آل عمران: الآية 157.

دماء المسلمين وغير المسلمين لأنها تدفع الظلم والبغي، وتكسر شوكة الكفر والطغيان، وتهدم مواخير الفساد والمفسدين، كما أنها في المقابل تؤسس لدولة العدل والحق والحرية التي تحفظ حياة ودماء المستضعفين.

لقد غدت الشهادة في جيلنا والأجيال الناشئة جزءاً أساسياً من مكونات ثقافته وتربيته، يتذوقها ويتعرف على كنهها، ويتعمقها، وينفعل بها، ويسعى إلى تجسيدها في الواقـع العملـي والحياتي، شهادة يتسابق فيها المؤمنون تسابقا يفوق تسابق الآخرين على الدنيا وزينتها.[1]

من هنا نستطيع القول إن الشهداء أدركوا ما سبقهم إليه القائد المسلم خالد بـن الوليـد حين بين الفرق الكبير بين الموت على الفراش، وبين الشهادة في المعركـة، فقـال مقولتـه الشهيرة، يستنفر بها المتقاعسين المتخاذلين، ويستنهض بها همم الجبناء الخـوارين : "هأنـذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء).

كانت نظرته وفلسفته للموت – رضي الله عنه – عميقة، فهو يرفض حيـاة الجـبن، والموت كالبعير، وكأني به يقول يجب أن أموت قتلاً في المعركة لأنال وسام الشهادة وشرفها، فالشهادة في نظره منحة ربانية لا ينالهـا إلا المخلـصون مـن جنـد الله ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ . .﴾ [2].

إن معاني العزة والكرامة والحرية لا تتجسد واقعاً في حيـاة الأفـراد والمجتمعـات والشعوب والأمم إلا إذا ابتليت، ومن أعظم الابتلاءات ظهـور الأعـداء الـذين يغتـصبون الأرض، ويعتدون على دين الله وعباد الله، وهنا يأتي دور المجاهـدين تـاج الـوطن الـذين يتحملون المسئولية كاملة دون تردد، يقاومون بروح تحررت من كل قلق وخـوف، فلحظـة الموت عندهم هي الهدف، غدواً إلى العلا، وسمواً إلى الرفعة، وفوزاً بالنعيم المقيم.

فإذا كان الشهيد قد دفع ضريبة المجد، وفاتورة الجنة، بدمائه الزكية وروحه الطاهرة، فإنه لم يدفعها دون مقدمات أو استعدادات، فقد هيأ نفسه لهذا المقام، فلا غرو أن نجـد سـيرة الشهيد ناصعة الطهر كالحمامة البيضاء، ولا عجب أن تراه قريباً من القلوب كالمطر المنتظر، إنه دافئ كعشق الوطن، وشهي كطعم النصر، ورغم ذلك فهـو صـلب كـالفولاذ، ومـاضٍ كالسيف، لقد امتلأ إيماناً ووعياً وثورة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه.

---

(1) يوسف رزقة، أعلام شهداء المنطقة الوسطى، المكتبة المركزية، غزة، 2004، ص51.

(2) سورة آل عمران: الآية 140.

إن الشهادة تحتاج إلى نية صادقة، وعزيمة أكيدة، وإلا تصبح ضرباً مـن الأمنيـات الجوفاء، والخيال الفارغ، ومن ثم ربط الإسلام الشهادة بالنية، فقال صلى الله عليه وسلم: (من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه)[1]

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد)[2]

وقد من الله تعالى على الشهداء بنعم عظيمة، وخصهم بمآثر جليلة، فجعلهـم أحيـاء عنده، يرزقهم من الجنة حيث شـاءوا ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [3].

ويتفاوت الشهداء في المنزلة، فهم ليسوا على رتبة واحدة عنـد الله، " وسـبب ذلـك التفاوت هو تفاوتهم في درجات إخلاصهم، وسماحة أنفسهم بأنفسهم، وتفاوتهم في مـا كـانوا عليه قبل الاستشهاد من الأعمال الصالحة: فمن الشهداء من تكون روحه فـي جـوف طيـر أخضر، يرعى في الجنة حيث شاء، ثم يأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش!، ومن الشهداء من يكون على بارق نهر بباب الجنة، يأتيهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً!، ومن الشهداء من يطير مع الملائكة في الجنة حيث يشاء!، ومن الشهداء من يكون على أسرة في الجنـة!، وإن الأرض لا تأكل أجساد الشهداء" [4].

والشهداء لا يغسلون من دمائهم، كما رأى مالك و الشافعي وأبو حنيفة والثوري، حيث استندوا على الحديث الذي رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهمـا أن النبـي صلى الله عليه وسلم أمر بدفن شهداء أحد بدمائهم، ولم يصل عليهم ولم يغسلوا [5]، والعلة في عدم تغسيلهم هي أن دماءهم تأتي يوم القيامة، لونها لون الدم، وريحها ريح المسك.

ولما للشهادة من فضائل وكرامات عند الله، فإن الشهيد عندما يدخل الجنة يتمنـى أن يعود إلى الدنيا، ليقتل في سبيل الله مرات ومرات، كما وضح ذلك الرسول - صلى الله عليـه

---

(1) رواه مسلم في الإمارة: 1517/3.

(2) رواه أبو داود في الجهاد: 46/3. والترمذي : 185/4. والنسائي: 25/6.

(3) سورة آل عمران: الآية 169-171.

(4) تهذيب كتاب: مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، دار النفائس للنـشر والتوزيـع، الأردن، ط1، ص261.

(5) رواه البخاري في المغازي (الجامع الصحيح)، دار طوق النجاة: 39/5.

وسلم- في حديثه: (ما من أحد يدخل الجنة، يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة)(1).

وفي رواية أخرى عند الإمام مسلم: أنه قال في آخر الحديث (لما يرى من فضل الشهادة)(2).

ولأرواح الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله منزلة خاصة، ومكانة رفيعة لطهرها وقداستها عند الله، فبمجرد خروجها من جسد الشهيد تصعد إلى السماء، فيجعلها الله في أجواف طير خضر في الجنة، فقد روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما أصيب أخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ أخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب! فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، وأنزل قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (3))(4).

وكما أن ذكرى الشهداء حية في عقول الأحياء، وقلوب المجاهدين، فهي حية أيضاً عند الله، فقد جعل أرواحهم في أجساد الطيور الخضر، وهذه مكافأة وجائزة لهم على جهادهم، فقد هاءوا بأنفسهم وأرواحهم ودمائهم، امتثالاً لأمر الله وحباً له، يبتغون في ذلك رضاه، فعوضهم الله عنها أجساداً لطيفة في الجنة، يتمتعون فيها يأكلون ويشربون، ويسرحون حيث يشاءون.

وتثميناً للموقف الثابت الذي يقفه الشهيد أثناء المعركة، والذي يدل على صدق إخلاصه، ورسوخ إيمانه، فهو لا يتوانى في القتال، ولا يألو جهداً في الدفاع عن إخوانه، ورغم حمي وطيس المعركة، وكثرة الدم والنزف، لم تلن له قناة، ولم تضعف له عزيمة، فهو ثابت كالجبال الرواسي، ولأجل هذا الثبات لا يفتن في قبره، ولا يصعق عند النشور، فيكفيه هذا الامتحان فقد " رأى السيوف تلمع وتقطع، والأسنة تبرق وتخرق، والسهام ترشق وتمرق، والرؤوس تَنْدر، والدماء تثعب، والأعضاء تتطاير، والناس بين قتيلٍ وجريحٍ وطريحٍ، إن من رأى ذلك فثبت ولم يول الدبر ولم ينهزم، وإنما جاد بنفسه لله تعالى، إيماناً به، وتصديقاً بوعده

---

(1) رواه البخاري في الجهاد: 208/3. ومسلم في الإمارة: 1498/3.

(2) رواه مسلم في الإمارة: 1498/3.

(3) سورة آل عمران: الآية 169.

(4) رواه أبو داود في الجهاد: 32/3.

ووعيده، إنما يكفيه هذا امتحاناً لإيمانه، واختباراً له، وهذه هي الفتنة التي ما بعدها فتنة، إذ لو كان عنده شك أو ارتياب في ما عند الله لولى الدبر، وذهل عما هو واجب عليه من الثبات".[1]

وكما أن الشهيد يشَرفُ أهله في الدنيا بنيله الشهادة، حيث إن المجتمع ينظـر إلـيهم باحترام وتقدير، فكذلك يزيدهم شرفاً في الآخرة عندما يشفع في سبعين مـنهم، كـذلك تمتـد خصال الشهيد كما قال صلى الله عليه وسلم: (إن للشهيد عند ربه سبع خصال: أن يغفر لـه في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلية الإيمان، ويجار من عذاب القبـر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه).[2]

وامتداداً لمميزات الشهيد عند الله، فإن الله يزوجه بالحور العين يقول تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [3]، وقد وصفهن الله تعالى، فقال: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [4].

وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من وصف لجمالهن يذهل العقـول، ويـذهب بالألباب، ويزيد من التعلق بهن، والشوق إليهن، وربما الأمر يبعد أكثر مـن ذلـك حيـث أن "الحور العين قد يتراءين للجريح إذا أغمي عليه، قبل خروج روحه، وذلك بشارة له بـأن الله قد تقبله شهيداً، وقد يتراءين للمجاهد في المنام، ليكون هذا أدعى له لبذل مزيد من الجهد فـي الجهاد والقتال"[5]

يقول صلى الله عليه وسلم: (لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمـلأت ما بينهما ريحاً، ولأضاءت ما بينهما، لنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) [6].

بعد هذا العرض نلاحظ أن الشهيد يوزن الدنيا بميزان الآخرة، فتهون عليه الدنيا فتبدو شيئاً ضئيلاً زهيداً: لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر، وتكاثر، فيطمح إلى مقام أعلى، ومكانة أرفع، فلا يجدها إلا في الآخرة عند ربه، ومن ثم يتخذ قراره الحاسم بأنه جندي لله، وحارس لدينـه، ومجاهد لتأمين العقيدة من الفتنة، ومرابط لحفظ الدعوة من شرور المفسدين، ومناضل يـدافع عن وطنه وأرضه.

---

(1) تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد: 271.

(2) مسند أحمد: 121/4. ومجمع الزوائد للهيثمي: 293/5.

(3) سورة الواقعة: الآية 32-33.

(4) سورة الرحمن: الآية 58.

(5) تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد: 279.

(6) رواه البخاري في الجهاد: 203/4.

ثانياً- المدافعة سنة كونية

المدافعة سنة تمثل إحدى معادلات الكون والحياة، وتقوم هذه السنة على ثنائيات متصارعة متغالبة يدفع بعضها بعضاً، فعلى سبيل المثال: الخير يدفع الشر، والحق يغالب الباطل، والموت يصارع الحياة، وكذا الأمر بين الإسلام والكفر، والعدل والظلم، والإعمار والإفساد، والحرية والاستعباد.

ويرى سيد قطب أن وراء هذه المدافعة حكمة، فيقول: " لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة، لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع، فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذخورة، وتظل أبداً يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر الأرض، مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة... وفي النهاية يكون الصلاح و الخير والنماء... "[(1)].

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [(2)].

لا يكون العدل إلا بإزاحة الظلم ودحره، ولا تكون الإزاحة إلا بالمدافعة، والمدافعة هي نوع من العلاقة بين المتضادات كالخير والشر، وإذا تخاف أهل الخير وسكنوا وابتعدوا عن المدافعة، عم الفساد وقويت شوكة المفسدين، وبالتالي تحولت الحياة إلى غابة مملوءة بالوحوش يأكل كبيرها صغيرها، ويستعبد عظيمها حقيرها، ومن ثم تضيع القوانين والقيم والمثل، فلا حضارة ولا مدنية، ولا أمن ولا أمان، وتتعطل أوامر الله وتشريعاته في الأرض، ويعيش الناس في ضنك، يقول الله تعالى في هذا السياق: ﴿ ..وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [(3)].

إنه فساد جامح مطلق لا يوقفه حد، يطال كل شيء حتى دور العبادة: الصوامع والبيع والمساجد هدماً وتدميراً، بل إن الأمر يتجاوز ذلك إلى القضاء على الدين، وإبادة الداعين إليه.

"إن حقيقة الإفساد التي يعرفها قادته، والتي تسكن فكرهم وفعلهم، تتجه دوماً إلى المسلم هدماً وقتلاً وتدميراً، قبل أن تتجه إلى المكان ممثلاً في المسجد أو المؤسسة أو المركز،

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1 ص270.

(2) سورة البقرة: الآية 251.

(3) سورة الحج: الآية 41.

وإن هدم المسلم يؤول في النهاية إلى هدم الدين ذاته، وإحلال شرعة الظالم نفسه، بغض النظر عن المصطلحات المعنوية لهذه الشرعة من كفر أو علمانية أو شيوعية أو غيرها"(1)

إذن ما تستهدفه ملة الكفر الإسلام والإنسان المسلم – الذي يحمل هذا الدين- بالقضاء عليهما معاً، أو النيل منهما ما أمكن، ومن هنا كان "أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله الجهاد في سبيل الله، لما فيه من محق أعداء الله، وتطهير الأرض منهم، واستنقاذ أسرى المسلمين من أيديهم، وصون دماء المسلمين وأموالهم، وحرمهم وأطفالهم، وارتفاق المسلمين بما منحه الله من أراضي الكفار وأموالهم، وإرقاق حرمهم وأطفالهم، ولذلك عظم الله فيه أجر الطالب من المسلمين والمطلوب، والغالب والمغلوب، والقاتل والمقتول، وأحيا القتلى فيه بعد مماتهم، وعوضهم عن حياتهم التي بذلوها لأجله بحياة أبدية سرمدية، لا يصفها الواصفون، ولا يعرفها العارفون"(2).

والحياة الكريمة لا تكون ولا تكتمل بغير مدافعة الظلم والفساد، وإنه ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا، والمذلة تكون بعلو الكافر والمنافق والظالم وتحكمه في رقاب المؤمنين وفي دينهم، والمسلم أمام هذا الأمر ليس له خيار سوى القبول بسنة المدافعة، أما إذا أعرض عنها، أو غفل عنها، أو قبل بغيرها، فقد ضيع على نفسه الحياة الحرة الكريمة، وضل الطريق الموصل إليها، وبذلك تكون خسارته فادحة لأنه فقد غاية الحياة وهي رضا الله سبحانه وتعالى.

إن نصر الله وتأييده لا يتجسدان واقعاً عملياً للمؤمنين إلا إذا تحركوا وجاهدوا وضحوا من أجل رفعة دينه وإعزاز شرعه ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (3).

ويؤكد هذا المعنى قول الحق لعباده المنتصرين : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (4).

إن الأمر لا ينتهي عند هزيمة الكفار والظالمين والمفسدين، بل يتبع ذلك إقامة دين الله وتحكيم شريعته التي تتجسد بشكل عملي بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والواجب الأكبر بعد ذلك هو بقاء هذا التمكين واستمراره والمحافظة عليه.

---

(1) أعلام شهداء المنطقة الوسطى ص42.

(2) العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله، تحقيق إياد خالد الطباع، دار الفكر، دمشق، 1996م، ص27.

(3) سورة الحج: الآية 40.

(4) سورة الحج: الآية 41.

وبالمقابل فإن الناظر في واقع العرب والمسلمين يجد " الذلة والمهانة، والفساد والإفساد، والضعف والتخلف، والتبعية وقلة الحيلة، والفشل والهزيمة، التي تسكن الوطن العربي والإسلامي هي النتاج الطبيعي لترك سنة المدافعة وبالذات في شكلها القوي القائم على القتال، وإراقة الدم في سبيل الله. وحين يصبح دين الله أغلى من الدم ومن الحياة ستتغير الوقائع وترتفع المذلة والهزيمة"[1]

حقا: إن دين الله أغلى من الدم والنفس، وأنه جدير بإهراق الدم وتفتيت الجسد، وأن المدافعة والمقاومة هما السبيل الوحيد لاستعادة الحقوق، وإعزاز دين الله، ورفع رايته، ثم تحقيق الحياة الكريمة.

فضل الجهاد والمجاهدين:

الجهاد في سبيل الله من أعظم الطاعات، وأفضل القربات، وقد ورد في فضله من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يحفز الهمم العالية، ويحرك كوامن النفس إلى المشاركة في هذا السبيل، وجهاد أعداء رب العالمين فرض كفاية على المسلمين، إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وقد يكون أحياناً فرض عين، فلا يجوز للمسلم التخلف عنه إلا بعذر شرعي ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [2].

في هذه الآيات الكريمات يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد خفافاً وثقالاً أي شيباً وشباباً، وأن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله، ويخبرهم الله عز وجل أن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة، ثم يبين الله سبحانه حال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم، وأن في ذلك هلاك لهم، وأن المؤمن لا يترك الجهاد أبداً إلا بعذر شرعي، فإيمانه الحي الصادق هو الذي يدفعه ويحفزه ليبادر إلى الجهاد ولينفر مع المجاهدين، وهو يدرك بيقين فضل هذا العمل، يقول صاحب الظلال في هذا السياق: "وفي ظلال هذا المثل الواقع يدعوهم إلى النفرة العامة، لا يعوقهم معوق، ولا يقعد بهم طارئ، إن كانوا يريدون

---

(1) أعلام شهداء المنطقة الوسطى ص:45.

(2) سورة التوبة: الآية 41-45.

لأنفسهم الخير في هذه الأرض والدار الآخرة..... انفروا في كل حال، وجاهدوا بالنفوس والأموال، ولا تتلمسوا الحجج والمعاذير،ولا تخضعوا للعوائق والتعلات"(1).

إن المؤمن قد باع نفسه وماله لله عز وجل، وأن الله تعالى قبل هذا البيع وجعل الجنة ثمناً له، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (2).

لا أحد أوفى بعهده من الله، وفي ذلك طمأنينة للمؤمنين الذين باعوا أنفسهم وضحوا بأموالهم في سبيل الله، وقرنوا ذلك بالإخلاص والصدق وطيب النفس حتى يستوفوا أجرهم كاملاً في الدنيا والآخرة، ثم يقر لهم الله تعالى بقبول هذا البيع وصحته، ويعدهم بالفوز العظيم والنصر المبين، والتأييد والتمكين.

أما الأحاديث النبوية التي تبين فضل الجهاد فهي أكثر من أن تحصر، نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة)(3).

وروى أبو سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً، وجبت له الجنة).

فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله.

فأعادها عليه، ثم قال: (وأخرى يرفع الله بها العبد مئة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين مثل ما بين السماء والأرض). قال: وما هي يا رسول الله؟

قال: (الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله)(4).

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة مئة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض"(5).

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن: ج3 ص1657.

(2) سورة التوبة: الآية 111.

(3) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حديث رقم: 2579، ج9، ص350.

(4) أخرجه مسلم، في الإمارة: باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهدين في الجنة من الدرجات، حديث رقم: 1884، ج3، ص1501 .

(5) أخرجه البخاري، في الجهاد: باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث رقم: 2790، ج9، ص354.

ثالثاً- الإرهاب

أصبح مصطلح الإرهاب أكثر انتشاراً وشمولية عندما فقد اقتحم على العرب والمسلمين حياتهم في السنوات الأخيرة، وبات يهددهم كدول وشعوب ومنظمات وحركات وجمعيات، وقد يأتي التهديد الأكبر في المستقبل.

ولقد أثار هذا المصطلح مشاعر القلق وعدم الإحساس بالأمان في النفوس، وخاصة بعد صدور الحملات الإعلامية المكثفة من قبل الأمريكيين والصهيونيين ومن حالفهم بهدف التضليل في المفاهيم، لخلق مبررات تسمح لهم بشن حروب في منطقة الشرق الأوسط، لحسابات سياسية، وللقضاء على جميع مظاهر المقاومة، لتبقى المنطقة بأسرها بيد أمريكا وإسرائيل.

حقيقة الإرهاب:

حاول أساتذة القانون والعلوم السياسية عبر العقود الأخيرة للقرن الماضي تحليل ظاهرة العنف والإرهاب، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة نهائية لتحديد مفهوم الإرهاب بشكل موضوعي ومنطقي، والسبب اختلاف أيديولوجية كل طرف عن الآخر.

ومن الملاحظ أن حجم الأعمال الإرهابية يزداد يوماً بعد يوم، وقد يعود ذلك إلى "التقدم التكنولوجي، وثورة المعلومات التي أغرت الخارجين على القانون من أفراد، وجماعات، وعصابات إجرامية إرهابية على تطوير أساليب الإجرامية، لتحقيق المزيد من المكاسب غير المشروعة، والتخطيط لارتكاب الجريمة والهروب من ملاحقة العدالة الجنائية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، وهو ما يؤدي إلى زيادة حجم ونوعية الأزمات الأمنية التي تتعرض لها المجتمعات، ويزيد من الأعباء التي تتحملها الأجهزة الأمنية عمليات المواجهة والمكافحة".(1)

الإرهاب في اللغة: التخويف والإفزاع والرهبة، أي الخوف والفزع، وأرهبه ورهبه واسترهبه: أي أخافه، أفزعه، "وفي القرآن الكريم جاء وصف فرعون وجنوده المجرمين بقوله ﴿ . . وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (2) أي: استدعوا رهبتهم حتى يرهبهم الناس"(3).

---

(1) محمد حافظ الرهوان، التخطيط لمواجهة الأزمات والكوارث ومكافحة الإرهاب، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، ط1، 2006، ص9.

(2) سورة الأعراف: الآية 116.

(3) المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، ط1، ج1 ص376.

الإرهاب في الاصطلاح:

"هو استخدام طريقة عنيفة كوسيلة، الهدف منها نشر الرعب للإجبار على اتخاذ موقف معين"(1)

وقيل هذا المصطلح عام ومطاق ينسحب في مفهومه على " الذين يسلكون طرقاً غير أخلاقية ولا مشروعة لتحقيق بعض الأهداف كأن تكون سياسية أو اقتصادية أو شخصية أو غير ذلك من وجوه المصالح والأهواء غير المشروعة"(2)

من هو الإرهابي؟

من خلال المفهوم السابق نستطيع أن نحدد أو نشير إلى من هو إرهابي، وذلك من خلال المعايير السابقة التي وضحها مفهوم المصطلح:

فكل دولة تتدخل في الشئون الداخلية لدولة أخرى لتحقيق مصالح خاصة بها، أو تستولي على أراضيها بالقوة تعتبر دولة إرهابية.

وكل شخص أو جماعة أو مؤسسة تحاول امتصاص دماء الفقراء، أو استغلال خيرات الشعوب تعتبر إرهابية.

وكل نظام فاسد يمارس العنف والقهر على شعبه، فيخضع الشرفاء والأحرار منه للتعذيب والسجن والقتل هو نظام إرهابي.

الإرهاب والظلم:

كثير من الدول الكبرى جعلت من الإرهاب قضية رئيسة ومهمة تحتاج إلى علاج حاسم وفعال، وقد ساهم الإعلام الغربي في إقناع الرأي العام بأهمية الموضوع ووجوب علاجه.

اللافت للنظر والمثير للسخرية: أن الحكومات الغربية تدعي اهتمامها بالسلام والأمن والاستقرار والديمقراطية في العالم على جميع الأصعدة، وفي مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكنها لا تهتم بجرائم القتل التي ترتكب في بلادها والتي تفوق ما يقتل عن طريق ما يسمى بالإرهاب، كما أنها لا تولي رعايتها – على المستوى المطلوب- لأولئك الذين يموتون جوعاً في أفريقيا وآسيا.

---

(1) نواف الزرو، أسئلة متفجرة على أجندة الإرهاب، مجلة رؤية، العدد السادس عشر، غزة، الهيئة العامة للاستعلامات، شباط 2002م، ص13.

(2) أمير رصرص، الإسلام والإرهاب، مجلة الإسراء، العدد التاسع، القدس، دار الفتوى والبحوث الإسلامية، نيسان 1997م، ص54.

إن الحقيقة تقول: إن جرائم القتل والفتك والدمار التي ترتكب تحت شعار محاربة الإرهاب تفوق كثيراً حالات القتل الناتجة عما يسمونه إرهاباً، ومثال ذلك: ما فعلته إسرائيل في لبنان، وما تفعله يومياً في فلسطين المحتلة، وما تفعله القوات الأمريكية المحتلة وحلفاؤها في أفغانستان والعراق يومياً، وما تفعله روسيا في الشيشان، وما كانت تفعله حكومة جنوب أفريقيا في العنصرية السود.

الغريب أن هذه الحكومات والدول ترتفع أصواتها مجتمعة منددة بالإرهاب عند وقوع أي حادث، في حين لا نسمع لها صوتاً واحداً يدعو لرفع الظلم وإشاعة العدل.

الإرهاب لا ينشأ من فراغ، وإنما هو نتيجة لها مقدمات، فلو حل العدل ورفع الظلم، وأخذ كل ذي حق حقه لما كان هناك إرهاب.

ومن هنا حارب الإسلام أسباب الإرهاب قبل أن يحارب الإرهاب، والنصوص القرآنية والنبوية التي تدل على ذلك كثيرة، نقتطف منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (1).

وجاء في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...)(2).

الإسلام دين الرحمة:

الإسلام دين الرحمة الكاملة بالإنسانية جمعاء، مسلمين وغير مسلمين، فبعقيدته السمحة السهلة الميسرة أشاع الأمن والسلام في هذه الدنيا، وبنظامه الأخلاقي رسخ قواعد الحق والخير والعدل في الأرض، وبتطبيقه العملي أقام حياة الناس على الأمان والثقة والحرية بعيداً عن الفساد والتخريب والإذلال، وبعيداً عن التسلط والترويع والترهيب، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (3).

والإسلام يحذر بشدة من إشاعة الذعر والخوف في نفوس العباد، وذلك بأية وسيلة كانت، سواء بالإشارة بالسلاح، أو التهديد بالكلام، أو غير ذلك من الأساليب التي تثير الرهبة والوجل في النفوس، لذلك " أمر بالتراحم العام، وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم يلقى

(1) سورة النحل: الآية 90.

(2) صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم 2577، ج4 ص1994.

(3) سورة الأنبياء: الآية 107.

الناس قاطبة وفي قلبه لهم عطف مذخور، وبر مكنون، فهو يوسع لهم، ويخفف عنهم جهد مـا يستطيع"(1)

عن أبي هريرة قال: "قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: إني لم أبعث لعاناً ، وإنما بعثت رحمة"(2).

"وقد جسد الرسول –صلى الله عليه وسلم- هذه الرحمة التي غرسها الله في قلبه قولاً وشعوراً وعملاً، حيث أن هذه الرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه، فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحـيط بكل شيء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة"(3).

وقد جاءت الأحاديث تترى، تحث على هذه الرحمة الشاملة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لا يرحم لا يرحم"(4)

والرحمة أثر من الجمال الإلهي الباقي في طبائع الناس يحدوهم إلى البر، ويهب عليهم في الأزمات الخانقة ريحاً يرطب الحياة وينعش الصدور.

وفي الحديث: "إن الله خلق – يوم خلق السماوات والأرض- مائة رحمة، كل رحمـة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولـدها والوحش والطير بعضها على بعض..."(5).

ولئن دعت هذه النصوص وغيرها إلى إشاعة الرحمة بين العباد، ونهت عن ترويـع الإنسان لأخيه الإنسان، سواء كان ذلك بالمزاح أو الإشارة باليد أو السلاح أو غير ذلك مـن أشكال التخويف، فلا غرو أن يكون النهي والتحذير أشد كثيراً في حـق مـن يعتـدي علـى المجتمع بترويعه وتخويفه وإثارة الرعب والفتنة والفوضى في صفوفه.

بعد بيان رحمة الإسلام بالعالمين، تبقى هناك أسئلة مفتوحة تحتاج إلى إجابة منصفة، منها: لماذا تخصص تهمة الإرهاب بالمسلمين؟ ولماذا تلصق بهم افتراء ؟

وهل الذين يدفعون عن أنفسهم الشر والضيم، والذين يجاهدون للتحرر من ربقة الـذل والاستبداد إرهابيون ؟

---

(1) محمد الغزالي، خلق المسلم، دمشق- بيروت، دار القلم، ط2، 1980، ص 205.

(2) صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم 2599، ج4، ص2007.

(3) محمد الغزالي، خلق المسلم، ص 203.

(4) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: 5538، ج18، ص403.

(5) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سـبقت غـضبه، حـديث رقـم 3753، ج4 ص2109.

ومتى كان الدفاع عن النفس إرهاباً؟ ومن يملك الحق في أن يطلق صفة الإرهاب على كل منتفض شجاع ذي حمية وحماسة درءاً للهوان والظلم ومقاومة للمستعمرين المغتصبين؟ وكيف يسمى انتشار دعوة الإسلام في ربوع الأرض - ليستظل الناس بظله الوارف ولتترسخ في الدنيا قواعد الأمان والاستقرار والسلام- إرهاباً ؟

وهل تعتبر الثورة التي تغلي في قلوب الأحرار في هذا الزمان والتي تتطلع إلى التحرر وتحلم بالانعتاق ومحو العار -الذي خلفه الاستعمار- إرهاباً؟

أم أن المقصود من وراء ذلك القضاء على الإسلام والمسلمين من خلال تشويه تشريع الجهاد وتعطيله، ومن ثم إنهاء جميع مظاهر قوى الإسلام ليبقى الإسلام مجرد طقوس جوفاء ومناسك دون روح ؟

أعداء الإسلام يدركون أن الجهاد وسيلة المسلمين في صد المعتدين المجرمين، وقهرهم، الذين يكيدون للإسلام والمسلمين أشد الكيد، ويتربصون بهم الشر والسوء على الدوام، ويريدون أن يجتاحوا أرض الإسلام فيعيثوا فيها الفساد والرجس، ويشيعوا فيها الخراب والدمار، هؤلاء لم يجد الإسلام من سبيل لردعهم سوى القوة وامتشاق السلاح، ولقائهم في ساحات الوغى، وهم الذين يقول الله تعالى في حقهم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ . . ﴾ (1).

أليس الإرهابي من يتآمر على الإنسانية، فيستعمر البلاد ويذل العباد، ويهدم الحضارة، ويسلب التراث، ويدمر العقيدة، ويختلس الثروات و الخيرات، ويستخدم من أجل ذلك أساليب القمع والكيد، والترويع، والترهيب، والإبادة، والاستئصال. وعلى الرغم من ذلك كله يستخف بالبشرية جمعاء مدعياً أنه الوصي عليها، وأنه ما يفعل ذلك إلا من أجل تحقيق السلام ونشر الأمن والأمان في ربوع الأرض.

موقف الإسلام من الإرهاب:

وضع الإسلام الأحكام، وسن التشريعات لحفظ الإنسان، وماله، ودمه، وعرضه، وكرامته، وأكد على حقه في العلم والصحة والأمان، وقد أذن الإسلام للإنسان إذا ما ظلم واعتدي عليه في أي حق من حقوقه، أو أخرج من أرضه ووطنه، فإن له الحق في الذود

(1) سورة الأنفال: الآية 60.

عن نفسه وحقوقه بكل ما أوتي من قوة، قال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [1].

إذن ليس القتال هدفاً في حد ذاته، وإنما هدفه دفع الظلم عن المظلومين، وترسيخ العدل في الأرض، وحفظ الدين و" لولا ما شرعه الله من الجهاد وقتال الأعداء لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان ولتعطلت الشعائر، ولكنه تعالى دفع شرهم بأن أمر بقتالهم"[2].

ومن هنا جاء وجوب قتال الكفار لأنهم يمثلون الباطل و "الباطل متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول، ولا يكفي الحق أنه الحق ليقف عدوان الباطل عليه، بل لا بد من قوة تحميه وتدافع عنه، وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان"[3].

موقف الإسلام واضح وصريح عندما أذن لعباده المؤمنين بالقتال، لأنه لحقهم الأذى عندما قاتلهم الكفار، وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، فلهذه الأسباب أباح لهم قتال أعدائهم، وتحرير أراضيهم المحتلة، واسترجاع أموالهم وحقوقهم المسلوبة المغصوبة، ولهم وعد من الله سبحانه وتعالى بالنصر والعون والمدد وأن الله على نصرهم لقدير.

ولا ينتهي قتال المعتدين حتى ينتهي عدوانهم ويخرجوا من الديار المحتلة، وترجع إلى أهلها حرة عزيزة، والمؤمن له السعادة بالنصر إن بقي حياً، وأما إذا أكرمه الله بالشهادة فله الجنّة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

أما الكافرون المعتدون المحتلون الظالمون فلهم الخزي والعار والهزيمة والخسران في الدنيا والآخرة.

وللإسلام رأي في الإرهاب القائم على العدوان والبغي مثل: احتلال الأراضي، واغتصاب الأوطان ووطن الغير وسلب الحقوق، ونهب الخيرات، وسفك الدماء، وهتك الأعراض، حيث إن هذا النوع من الإرهاب غير مشروع ومحرم شرعاً، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [4].

(1) سورة الحج: الآية 39-40.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، دار الفكر، ط1، 1976، ج2 ص292.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3 ص2425.

(4) سورة المائدة: الآية 33-34.

ويمكن إجمال القول عند الحديث عن صفات الإرهاب غير المشروع أو عن سجايا الإرهابيين بالتالي[1]:

- إن الإرهابيين يحاربون الله ورسوله بالتصدي لدعوته ومحاربة عبادة، والوقوف في وجه دعوة الإسلام.
- الإرهابيون يدعون إلى الكفر والشرك وينشرون الفساد في الأرض.
- وهم يقاتلون الناس لتحقيق مصالحهم الخاصة وشعارهم الغاية تبرر الوسيلة.
- وهم يحتلون أرض الناس ويخرجونهم من ديارهم، ويستعمرونها ظلماً وعدواناً.
- وهم ينهبون خيراتهم ويسرقون أموالهم ويسلبون حقوقهم.
- وهم ينشرون الرعب بين الناس، ويحرمونهم الأمن والطمأنينة والسلام.

الإرهاب الإسرائيلي:

إن دراسة الوثائق الصهيونية، وأفعال الحكومات الإسرائيلية تظهر أن مفاتيح المذهب الصهيوني المبني على أساس من نظريات وأفعال هرتزل ووايزمن وبن غوريون، وغولدامائير، وقيادات صهيونية أخرى، تظهر ما يلي[2]:

1. إن العالم الخارجي اللايهودي هو عالم بطبيعته ضد السامية، وسيلجأ هذا العالم أخيراً إما لتدمير اليهود وإما لامتصاصهم!
2. لا مفر لكل اليهود في العالم من مغادرة أوطانهم التي يعيشون فيها (المنفى)!! ويعودون إلى أرض إسرائيل الخاصة والمطلقة لهم، بهدف إحياء دولة داود وسليمان القديمة بحدودها المقدسة.
3. في سبيل الحفاظ على نقاء العنصر اليهودي يجب طرد كل إنسان غير يهودي، وإذا رفضوا فإنهم يجب أن يعيشوا تحت شروط سيكولوجية قادرة على خلق جدار منيع يفصل بين المجتمع المقدس والغرباء، وهذا تعبير مأخوذ من التوراة، ويحمل الازدراء والاستخفاف.

---

(1) إسماعيل الجمل، الترهيب المشروع والإرهاب المحرم شرعاً، حكم الشرع، مجلة الإسراء، العدد الثامن والثلاثون، القدس، دار الفتوى والبحوث الإسلامية، كانون أول 2001م، ص54.

(2) انظر: إيمانويل راتييه، إرهابيو إسرائيل، ترجمة حياة الحويك عطية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط1، 2001، وانظر: هيثم الكيلاني: القدس والحال الفلسطيني وقراءات في الأمن القومي العربي، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان – الأردن، ط1، 1999، ص25.

يرى الباحث من خلال ما سبق أن الصهيونية منذ البداية تسلحت بطرق تشوه الوقائع التاريخية، محاولة استخدام الحوادث الغابرة لخدمة أهدافها، لهذا يركز الصهاينة في وثـائقهم ونشاطهم الدعائي على محاولة البرهان على حق اليهود في فلسطين كـوطن تـاريخي لهـم طردوا منه بالقوة، وذاقوا الأمرين طيلة عدة قرون، ولكنهم ظلوا يحلمون بالعودة إلى هنـاك، لهذا أتقنت الصهيونية كل دعاية لعداء اليهود، لدفعهم للانغلاق والمحافظـة علـى (الجـوهر اليهودي)، ثم دفعهم لتحقيق المآرب الصهيونية، لإنجاز الوطن المزعوم.

ولتحقيق هذه المآرب، ولتجسيد هذا الحلم المزعوم أخذ الصهاينة بانتهاج كـل الـسبل الإجرامية والإرهابية كوسيلة للوصول إلى ذلك، والمعطيات والحقائق الموثقة المتعلقة بمسيرة الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي، التي انطلقت منذ مطلع القرن العشرين بملامحها وأغراضـها الواضحة الملموسة تثبت صحة ذلك، ويمكن القول: إن التاريخ البـشري لـم يـشهد إرهابـاً سياسياً، أو فكرياً، أو عقائدياً، أو عنصرياً، أو دموياً، أو منهجياً، أو مروعاً، مع سبق النوايـا والتخطيط والبرمجة والإصرار على التنفيذ بأبشع الصور والأشكال كالإرهاب الذي مارسـته الحركات الصهيونية بمنظماتها وأجهزتها، وكالإرهاب الرسمي وغيـر الرسـمي، والعلنـي والسري الذي مارسته وما تزال الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على مدى العقـود الخمـسة الماضية التي أعقبت قيام الكيان الإسرائيلي.

وخلاصة القول: أن إسرائيل مارست الإرهـاب الـدموي بكـل أنواعـه وأشـكاله، فاستخدمت من خلال سياستها الظالمة كل الوسائل الإجرامية من قتل وسجن وتعذيب وتشريد وهدم للبيوت، وتجريف للأراضي، وأن سجل الإرهاب الصهيوني حافل ومليء بالممارسـات الإرهابية، وأن المنطقة العربية لم تعرف الإرهاب إلى بعد إنشاء دولة الكيان الصهيوني، فقـد انطلق إرهابهم من مصادر الفكر الديني العنصري، وارتبط بالحركة الصهيونية التي جـسدت هذا الفكر على أرض فلسطين، وبإمكان القارئ الكريم الاطلاع على هذا الموضوع بـصورة أكثر استفاضة من خلال السجلات الصادرة عن مؤسسات حقوق الإنسان ومنظمـة التحريـر الفلسطينية والسلطة الفلسطينية ومراكز البحوث والتي تـسجل أول بـأول كـل الممارسـات الإجرامية الإسرائيلية.

وقد أجمل الشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد قضية الإرهاب في قصيدته (**فدائيون لا إرهابيون**)، حيث قال:

فـــي أي شـــرعٍ يوْســـم الأحْبـــاب ... فيقـــــالُ إن جهـــــادهم إرهـــــاب
فـــإذا اســـتباح ديـــارهم أعـــداؤهم ... يومـــاً، ودِيْـــست أبحـــر وشـــعاب
وإذا مـــساجدهم تقحـــم ســـاحها ... غـــازٍ، ودنـــس طُهرهـــا كـــذاب
وإذا صـــغارهم يتـــامى شُـــردوا ... واغتيْلـــتْ الأحـــلام والأنـــساب
وإذا فلـــسطين التـــي نبتـــوا بهـــا ... تُمحـــى ويلغـــى اســـمها ويعـــاب

وإذا همو في العالمين تناثر ... وتمزقٌ.. وإذا هم الأغراب
وإذا جِنانُهمو التي بذلوا لها ... عمراً، خراب بعدهم ويباب
وإذا معاهِدهم يحلق فوقها ... بوم وينعقُ في الديار غراب
وإذا الحساسين التي سعدوا بها ... يوماً.. تُذَبح غيلةً وتصاب
وإذا رحاب القدس في أحزانها ... تشكو مآذن كُبلت وقِباب
وإذا القُبور تمور من آلامها ... ويكاد يصرخ في الترابِ تراب
وإذا الفداء غدا لواء خافقاً ... من حولهِ يتجمع الغُياب
قالوا هو الإرهاب.. أية شرعةٍ ... هذي.. وكيف يفّسر الإرهاب
الأرض تعرفنا فما من رملةٍ ... إلا وفيها نبضةٌ وعذاب
فاللوز، والزيتون يعرفُ جهدنا ... والكرم والليمون والعناب
والشمس ما طَلَعتْ لغير وجوهنا ... تزْهو فيزهو الحب والترحْاب
ما دارةٌ إلا وفي أنحائِها ... قصص لنا، ومعالم ورغاب
فإذا تأجج شوقنا وتحركت ... آمالنا وتلاقتِ الأسراب
قالوا: هو الإرهاب وانتصبت له ... أيدٍ يلطخها دم وخراب
إن يقتلُوا أطفالنَا ونساءنا ... ظلماً.. فما هذا هو الإرهاب
إن يسرقوا أوطاننا وتراثنا ... إفكاً.. فما هذا هو الإرهاب
إن ينكِروا تاريخنَا ووجودنا ... كذباً.. فما هذا هو الإرهاب
إن يضربونا بالصواريخ التي ... اخترعوا.. فما هذا هو الإرهاب
عجباً فأي سياسةٍ مأفونةٍ ... هذي وكيف يؤَولُ الإرهاب
إن كان إرهاباً بأن يهوى الفتى ... أوطانه فشعارنا الإرهاب
أو كان إرهاباً بأنْ تمضي الخُطَى ... نحْو الديار.. فدربنا الإرهاب
أو كان إرهاباً بأنْ يعلو الفدا ... راياتنا فلواؤنا الإرهاب
أو كان إرهاباً بأنْ يسمو لنا ... علم فَسارينا هو الإرهاب
أو كان إرهاباً بأنْ نلقى غداً ... أحبابنَا فسبيلُنا الإرهاب[1]

الشاعر هاشم هارون رشيد يدرك بعمق معنى الإرهاب الحقيقي، ومن هم الإرهابيون، ولماذا يقوم هؤلاء المجرمون بإطلاق مصطلح الإرهاب على الضحايا وأصحاب الحق المسلوب، إنها لغة المستكبرين الظالمين، الذين لم يعملوا حساباً لأحد، لأنهم فقدوا إنسانيتهم فلم يردعهم ضمير، ولم يثنهم عن إجرامهم بقية من عقيدة، وهنا يرى الشاعر أن هذا منطق مقلوب، واتهام باطل، كيف تسمى المقاومة إرهاباً؟ وكيف يفسر الإرهاب في ظل واقع مرير يعيشه الفلسطينيون، فقد (استباح ديارهم أعداؤهم)، ومساجدهم (دنس طهرها)، وأصبح (صغارهم يتامى)، بل إن الصهاينة تجاوزوا كل الحدود، فهم إنْ (يقتلوا أطفالنا ونساءنا ظلماً)، و(يسرقوا أوطاننا وتراثنا إفكاً) و(ينكروا تاريخنا ووجودنا كذباً) و(يضربونا بالصواريخ)، فإن الشاعر كفلسطيني يرفض ادعاءهم الكاذب: ويرى أن حب الوطن، وتحرير الديار، ونيل الاستقلال يعتبر إرهاباً، وإن كان الأمر كما يدعون (فسبيلنا الإرهاب).

(1) قصائد فلسطينية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2003م، ص 137-141.

الفصل الأول

هزيمة حرب 1967 وآثارها

هزيمة حرب 1967:

قامت دولة يهود (إسرائيل) على مجموعة من الأساطير والخرافات الباطلة التي حولها اليهود إلى معتقدات ونبوءات دينية مقدسة، وقد حاولوا تحقيقها إلى واقع من خلال إقناع يهود العالم، ثم نصارى أوروبا وأمريكا بأفكارهم الباطلة ليتسنى لهم الحصول على دعمهم على جميع الأصعدة.

وزعمت هذه الأساطير " أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله تعالى أعطاهم الأرض المقدسة (فلسطين) بموجب وعد إلهي مقدس قطعه الرب على نفسه لإبراهيم وإسحاق ويعقوب –إسرائيل- ولنسلهم من بعدهم، ولذا فإنه يجب أن يملك اليهود أرض فلسطين كلها وما حولها من البلاد التي أعطيت لهم من قبل الرب"(1).

وقد قامت قوات العدو الإسرائيلي بشن حرب على القوات العربية: المصرية والسورية والأردنية في الخامس من حزيران عام 1967م، وهذه الحرب هي الحرب الإسرائيلية الثالثة وقد سبقتها حرب 1948م وحرب 1956م.

ومن المبادئ الإستراتيجية التي دفعت إسرائيل لخوض هذه الحرب إنها لا تستطيع احتمال هزيمة كبيرة تكون فيها نهايتها حيث أن حجمها الجغرافي محدود والقدرة البشرية قليلة وهذان الأمران يشكلان نقطتي ضعف خطيرتين عندها، أضف إلى ذلك أن إسرائيل تهدف من حربها هذه توسيع حدودها على طريق تحقيق الحلم الصهيوني: (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات، علاوة على دورها "الوظيفي ضد المنطقة العربية، بما في ذلك عزل الأقاليم العربية بعضها عن بعض، واستنزاف قدراتها الاقتصادية، وتدمير قدراتها العسكرية، ووضع المنطقة في حالة ضعف مستمر لا تسمح بتعاظم القدرات العربية وتكاملها إلى درجة تمكنها من التصدي للمطامع الصهيونية والإمبريالية في الوطن العربي" (2).

وربما هناك دوافع غير مباشرة لهذه الحرب تتعلق بالوطن العربي، "ومن أهمها تعاظم القدرة العسكرية العربية، ولاسيما على جبهتي مصر وسوريا، وتعاظم المد الوطني والقومي الذي وجد تعبيراً عنه في ثورة (14 تموز 1958) في العراق، وفي انتصار ثورة الجزائر (1962)، ثم في قيام منظمة التحرير الفلسطينية (أيار 1964) وبدئها الأعمال النضالية داخل الأراضي المحتلة، وتعاظم قوة الثورة الوطنية"(3).

---

(1) صالح الرقب، نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان، مركز النور للبحوث والدراسات، غزة،ط1، 2002م، ص8.

(2) الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ج2، ط2، 1996، ص170.

(3) المرجع السابق، ص171.

وتعتبر حرب (1967) بين العرب وإسرائيل من أهم الحروب في سلسلة الصراع العربي الإسرائيلي نظراً لما تمخضت عنه من نتائج خطيرة انعكست على واقع القضية الفلسطينية حيث ما زلنا نعاني من آثارها حتى اليوم، فقد ضاعت القدس وبقية فلسطين، وللأسف توج ذلك باعتراف بعض الدول العربية بإسرائيل.

والذي يندى له الجبين أن إسرائيل "استطاعت بعد هذه الحرب القصيرة أن تضم إلى كيانها سيناء وقطاع غزة والضفة والجولان، فزادت أربعة أضعاف ما كانت تحتله عند قيام هذا الكيان، والذي يزيد الأمر مرارة سيطرة إسرائيل على المصادر النفطية في سيناء، وعلى موارد المياه في المرتفعات السورية والضفة الغربية، وأصبح باستطاعتها تطوير عملية الهجرة والاستيطان في الأراضي العربية المحتلة، وعلاوة على ذلك أصبح باستطاعتها استغلال اليد العاملة العربية لمشاريعها العمرانية والزراعية" [1].

أما على الصعيد السياسي وموقف إسرائيل من قرارات الأمم المتحدة فقد "رفضت إسرائيل بعناد وتصميم قبول أي حل يؤدي إلى انسحاب قواتها من الأراضي التي احتلتها بالقوة، كما رفضت رفضاً قاطعاً الاعتراف بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني وبحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم" [2].

وقد كونت (إسرائيل) من نتائج عدوان 1967 ما سمي بـ (نظرية الأمن الإسرائيلي)، وهي "نظرية تقوم في جوهرها على أن أمن (إسرائيل) هو الأساس والغاية، وأن على (أمن الآخرين) أن ينسجم ويتلاءم مع ذلك الأساس وهذه الغاية. لذا فإن كل ما يحقق (لإسرائيل) الأمن يجب أنْ يعتبر مقبولاً ومعقولاً ومبرراً، ويدخل في إطار ذلك استعمار الأراضي التي احتلتها (إسرائيل) في حزيران 1967، وإقامة المستوطنات فيها وتغيير معالمها الجغرافية والسكانية والطبيعية، وفرض الشروط التي تراها هي مناسبة لها ومحققة لأغراضها من أجل إقامة (السلام الإسرائيلي) في المنطقة" [3].

ويمكن إجمال القول في نتائج حرب 1967 بالتالي[4]:

1- احتلال إسرائيل لما تبقى من فلسطين أي الضفة الغربية، وقطاع غزة واحتلال سيناء المصرية، والجولان السورية زاد من مساحة الأرض التي

---

(1) الموسوعة الفلسطينية ص177.

(2) المرجع السابق ص185.

(3) المرجع السابق ص186.

(4) محسن محمد صالح، فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام العربي، الجيزة، ط1، 2003، ص 304.

تسيطر عليها إسرائيل أربعة أضعاف ما كانت تحتله عند إقامتها حيث يساوي (89359 كم مربع).

2- تشريد نحو 330 ألف فلسطيني.

3- سيطرة الكيان الصهيوني على منابع مياه الأردن، وفتح مضايق تيران وخليج العقبة للملاحة الإسرائيلية.

4- تشكيل الكيان الإسرائيلي لخطوط دفاع جديدة، وتوفير عمق استراتيجي يسهل الدفاع عنه بشكل أفضل.

5- فرض احتلال جديد للأراضي العربية، وجعل هدف الحرب فيما بعد استرجاع هذه الأراضي المحتلة سنة 1967 وليس تحرير فلسطين المحتلة سنة 1948.

6- تدمير القوات العسكرية لمصر والأردن وسوريا.

7- انكشاف ضعف القيادات العربية، وانعدام التنسيق فيما بينها، وعدم جديتها في تحرير فلسطين.

8- ظهور المقاومة الفلسطينية المسلحة وتعاظمها، وبروز الهوية الفلسطينية التي قررت أن تأخذ زمام المبادرة بعد أن تبين لها مدى الضعف العربي.

حرب 1973:

أحدثت حرب 1967 جرحاً نازفاً في الكرامة العربية، فحاولت الأنظمة العربية استيعاب النكسة، وتجاوز الصدمة، وتوقي غضب الجماهير، "فاجتمع الزعماء العرب في الخرطوم في (التاسع والعشرين من أغسطس حتى الأول من سبتمبر) معلنين أنه لا صلح ولا مفاوضات ولا اعتراف بالكيان الإسرائيلي، وتعهدت الدول العربية بدعم دول الطوق لإعادة بناء قواتها المسلحة، وفتحت هذه الدول المجال للعمل الفدائي الفلسطيني الذي نشط بقوة في الفترة (1967-1970) عبر ساحات دول الطوق، كما دخلت مصر وسوريا في حرب استنزاف مع الكيان الإسرائيلي خصوصاً في الفترة من (أغسطس 1968 إلى أغسطس 1970)، أسهمت إلى حد ما في إعادة الثقة ورفع المعنويات لدى الجيشين المصري والسوري" [(1)].

---

(1) دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص 304-305.

اتفقت مصر وسوريا على رص الصفوف، وتوحيد الجهود من أجل تحرير الأراضي المحتلة، والإسهام في توفير الظروف والعوامل لنيل الشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية كاملـةً بإرادة عربية، "وتجسدت هذه الإرادة في الاتفاقية العسكرية التي وقّع عليها القطران الـسوري والمصري يوم (1970/11/26) وحددت فيها أهداف الصراع القادم وطرق قيادته وأجهزتـه التنفيذية. وكانت هذه الاتفاقية الأساس الذي بنيـت عليـه الخطـة الاسـتراتيجية العـسكرية والسياسية لحرب 1973 "(1).

وكان من أبرز عناصر الخطة الاستراتيجية "الاستفادة من نتائج عدوان 1967، وبناء القوة الذاتية الاقتصادية والعسكرية، وتنظيم الجبهة الداخلية، وتـوفير القيـادة التـي تتحمـل مسئولية اتخاذ القرار، وتصفية جو العلاقات العربية من الشوائب، وتهيئة الجو الدولي، وإقناع الرأي العام العالمي ومنظمة الأمم المتحدة بأن إسرائيل تدفع العالم كله إلى حافة حرب عالمية مدمرة، والتمسك بالسعي لحل القضية حلاً سلمياً، وبذل أقصى الجهود السياسية لعزل إسرائيل دولياً، وتوجيه السياسة الإعلامية لخدمة أهداف الخطة".(2)

هذا وقد عكفت القيادة العامة للقوات المسلحة الموحدة على "وضـع خطـة للعمليـات أطلقت عليها خطة (بدر)، كان مفادها الهجوم المفاجئ على العدو وشل فاعليته الجوية وقواته المدرعة وعرقلة خطوط المواصلات وتموين وإمداد العدو، وتحقيق أكبر تعاون وتنسيق بـين مختلف صنوف الأسلحة في المعركة" (3).

ودارت المعركة في اليوم (السادس من تشرين أول)، حيث "عبـرت مائتـا طـائرة مصرية قناة السويس متجهة نحو أهدافها في سيناء، و أطلق أكثر من ألـف مـدفع وقاعـدة صواريخ قذائفها على مواقع العدو، وقامت القوات المصرية بعبور قناة السويس، وكبدت العدو الصهيوني خسائر فادحة، وانتهت الحرب يوم(10/18)، وقد تميزت هذه الحرب بظواهر عدة يمكن الإشارة إلى ثلاث منها هي: دور المقاومة الفلسطينية المسلحة، واستخدام النفط العربـي سلاحاً لصالح المعركة وأهدافها، وتأثر سياسة الانفـراج الـدولي بـين الاتحـاد الـسوفييتي والولايات المتحدة بالحرب ونتائجها" (4).

إذن استطاعت (حرب 1973) أن تمحو العار – ولو بشكل نسبي- الذي لحق بالقوات العربية، وأن تعيد للأمة العربية كرامتها، وترجع إليها هيبتهـا، وتـدفع إسـرائيل لأن تعيـد حساباتها من جديد، فتفكر في أمرٍ آخر غير الحرب، وغيـر المواجهـة بمـساعدة حليفتهـا الاستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(1) الموسوعة الفلسطينية ص 185.

(2) الموسوعة الفلسطينية ص 187.

(3) المرجع السابق ص 187.

(4) المرجع السابق ص 194.

التحولات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية في الواقع العربي والفلسطيني

احتلت قضية فلسطين مركز الصدارة لدى العرب والمسلمين في بقاع الأرض في هذا الزمن، فشغلت بال رجال الفكر وأرباب التعليم، واستحوذت على مشاعر الأدباء والمثقفين، وسيطرت على عقول السياسيين والثوريين، وعلى الرغم من إيمان هؤلاء جميعاً بعدالة هذه القضية فقد تباينت آراؤهم واختلفت اجتهاداتهم وتنوعت وجهات نظرهم إزاء حل هذه القضية.

وقد على أثر ذلك قامت منظمة التحرير الفلسطينية بإجماع عربي، يحدوه الأمل في أن تكون السبيل والوسيلة لتحرير فلسطين، وتعاونت الدول العربية مع المنظمة لتصبح الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

واستطاعت منظمة التحرير أن تحقق انتصارات دبلوماسية على الصعيد الدولي فقد اعترفت بها معظم دول العالم، لكنها وجدت صعوبات كبيرة للحصول على اعتراف أمريكا وإسرائيل لها كطرف في تسوية النزاع العربي الإسرائيلي، "وتواصل نضال الشعب الفلسطيني، حيث شكلت المنظمات الفلسطينية، التي كان من أهمها حركة فتح طليعة نضالية قادت كفا الشعب الفلسطيني داخل وخارج الأرض المحتلة، حتى جاءت انتفاضة يوم الأرض في 30 مارس 1976 والتي اشتركت فيها جميع فئات الشعب الفلسطيني"[1].

ومع مرور السنين، وازدياد الضغط الإسرائيلي الأمريكي على منظمة التحرير جراء العمليات الفدائية المسلحة ضد إسرائيل، اضطرت منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1982 لنقل قواتها من لبنان إلى تونس وبعض الدول العربية بعد حصار طويل لبيروت، وصمود المقاتلين الفلسطينيين، ثم أخذت إسرائيل بتصفية قادة ورموز منظمة التحرير أمثال أبي جهاد وأبي إياد وغيرهم.

وفي سنة (1987) قامت انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، فلقيت هذه الانتفاضة من العرب والمسلمين دعماً معنوياً ومادياً وفكرياً كبيراً.

ثم دخلت منظمة التحرير الفلسطينية حلبة التفاوض المباشر مع إسرائيل وإبرام اتفاقية (أوسلو) معها، وهذا أوجد اختلافاً في صفوف العرب فانقسموا إلى فريقين مؤيد ومعارض لهذه الاتفاقية، وقد نتج عن هذه الاتفاقية سلطة فلسطينية محدودة الصلاحيات، عاجزة عن تطوير ذاتها وذلك في جزء قليل من الأرض التي احتلت بعد عام (1967) لا يتجاوز الثلث[2].

---

(1) سليمان صالح، الانتفاضة الفلسطينية ثورة الذات الحضارية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1992، ص18.

(2) انظر: نايف حواتمة، أوسلو والسلام الآخر المتوازن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1998.

أولا- التحولات السياسية:

من المعروف أن منظمة التحرير الفلسطينية أنشئت في (أيـار 1964)، ولقـد كـان لقيامها أثر كبير على الساحة الفلسطينية والعربية والدولية، ورغـم المحـاولات الـصهيونية تغييب الشعب الفلسطيني وإنكار وجوده كما قالت (جولدامائير) عام (1971) : لا يوجد شيء اسمه الشعب الفلسطيني، ولكن في عام(1974) أصبح لمنظمة التحرير وضع مراقب لدى هيئة الأمم المتحدة، وهذا بالطبع أعطاها وضعاً قانونياً متميزاً، فأصـبح بإمكانهـا طبـق قواعـد الإجراءات المتبعة في مجلس الأمن الدولي أن تطالب عقد جلسة لمجلس الأمن في أية مـسألة تتعلق بالقضية الفلسطينية، ومعنى هذا أن حضورها على الساحة الدوليـة حـضور للـشعب الفلسطيني كشعب، وأصبحت قرارات هيئة الأمم المتحدة تشير إليها بهذه الصفة مؤكدة حـق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة، وبذلك أصبح الشعب الفلـسطيني حاضراً على الخريطة، يتناول ككيان وقضية في المناقشات السياسية والدبلوماسية، وهذا يعتبر إنجازاً هاماً في هذه المرحلة بعد عام (1967).

أعقبت حرب أكتوبر عام (1973) ثورة نفطية كان من نتائجها أن أوروبا أصـبحت أكثر حذراً بخصوص الانحياز لإسرائيل، وبدأت تراجع مواقفها إلى أنْ اُفْتُتِح الحوار العربـي الأوروبي الذي قادته دول الخليج العربي، وقد تمخض عنه إعلان البندقية الـذي نـادى لأول مرة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

بعد التوقيع على معاهدة السلام (كامب ديفيد) بين مـصر وإسـرائيل تحـت رعايـة أمريكية في واشنطن وكان ذلك في (25 مارس 1979) تعهدت الأطـراف الثلاثـة بإنجـاز مشروع الحكم الذاتي خلال سنة لسكان الضفة والقطاع، لكن هذا المشروع فشل[1].

قامت حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران فحصدت خلقاً كثيراً، وأكلت ميزانيـات البلدين، ثم حرب الخليج الثانية، فكان لهاتين الحربين أضرارهما البالغة بالقضية الفلسطينية.

انتفاضة 1987:

في الثامن من شهر (كانون أول 1987) انطلقت انتفاضة الشعب الفلسطيني بأسـره لتعبر عن السخط والغضب إزاء الممارسات الإسرائيلية القمعية ضد أبناء الشعب الفلـسطيني، فقد انتفض الإنسان الفلسطيني – حتى الأطفال- ليصنع ثورة ترفض الاحـتلال الـصهيوني كواقع جاثم على صدر الشعب، وتدعو إلى التخلص من العبودية والإذلال وتنادي بالاسـتقلال

(1) المصدر السابق ص11 بتصرف.

والحرية، وكانت الشرارة الأولى لهذه الانتفاضة في (1987/12/8) عندما سمع الفلسطينيون "بحادث صدم شاحنة إسرائيلية كبيرة عمداً لشاحنتين صغيرتين كانتا تقلان عمالاً من مخيم جباليا في قطاع غزة، مما نتج عنه مقتل أربعة منهم، وجرح تسعة آخرين، وقد أعقب ذلك حدوث اضطرابات في مخيم جباليا، حيث تحولت إلى اضطرابات عنيفة في كامل قطاع غزة خلال الأيام التالية، ولتمتد أيضاً إلى مخيمات الضفة الغربية ومدنها"[1].

وفي هذه الانتفاضة (انتفاضة الحجارة) تحدى الطفل الفلسطيني دبابات الاحتلال بصدره العاري تارة، وبحجارته وزجاجاته الحارقة تارةً أخرى، فتعرض لما يتعرض له الشباب من ضرب وإصابة واعتقال واستشهاد.

تعرضت خلال هذه الانتفاضة أغلب الأسر الفلسطينية إلى المصائب والفتن والفقر والجوع جراء السياسة القمعية الإسرائيلية، ففي كل أسرة منها تجد الشهيد أو الجريح أو السجين أو المبعد.

وكان للانتفاضة دورها الكبير في الضغط على إسرائيل، وإحراج أمريكا في الساحة الدولية، فبدأت فكرة التفاوض مع الفلسطينيين – كمخرج لإنهاء الانتفاضة- تتطور شيئاً فشيئا.

فقد أحدثت الانتفاضة "زلزالاً في المجتمع الإسرائيلي، ووصل قادة وجنرالات الدولة العبرية إلى قول بأنه لا حل عسكراً قمعياً مع الانتفاضة بل سياسي، وتحت ضغط الانتفاضة خسر الليكود وفاز العمل بانتخابات عام 1992م"[2].

وكانت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية قبل غزو العراق بسنتين أعلنت رسميا قبولها بالشروط الأمريكية لكي تتحدث مع الولايات المتحدة، وتم بعد ذلك فتح الحوار بينهما.

وعلى إثر ذلك تم فتح باب التفاوض بين الفلسطينيين في الداخل والإسرائيليين، ثم انتقل التفاوض مع ممثلي المنظمة بشكل مباشر حيث تمخض عن هذا التفاوض عن اتفاقية أوسلو التي تم إبرامها بتاريخ (1993/9/13)، ثم اتفاقية غزة أريحا (1994) ثم أوسلو الثانية.

بعد إبرام هذه الاتفاقيات اكتشف المفاوض الفلسطيني أن المصالحة التي في ذهنه تختلف تماماً عما في عقول الإسرائيليين، فقد وضع الشعب الفلسطيني في غزة في سجن كبير، وتركت " القدس والأرض واللاجئين والنازحين والحدود والمياه والأمن والممرات، وخط الحدود مع مصر والأردن بيد الاحتلال! ووضع الاقتصاد الفلسطيني في مربع الإلحاق بالاقتصاد الإسرائيلي وتحت هيمنته[3].

(1) جواد الحمد، المدخل إلى القضية الفلسطينية، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1997، ص406.

(2) أوسلو والسلام الآخر المتوازن، ص120.

(3) المرجع السابق، ص109.

ثم أخذت حركة الاستيطان تزداد يوما بعد يوم، أما السلطة الفلسطينية فظلت هزيلة لأنها لا تملك تطوير ذاتها، فالدعم الخارجي كان وسيلة ضغط عليها، وهذا جعلها محدودة الصلاحيات غير قادرة على إيجاد حلول للبطالة والقضاء على الفساد الإداري والمالي داخلها، بالإضافة إلى تكبيلها وتجميد نشاطها في مجال السياسة الخارجية، وهذا دفع منظمة التحرير الفلسطينية للقيام بهذا الدور وسد هذا الفراغ.

أما مسألة السيادة والاستقلال السياسي كعنصر مهم في عملية البناء فظهر هذا ضعيفاً جداً بسبب السيطرة الإسرائيلية وضغوطاتها على السلطة الوطنية رغم امتلاك السلطة تسعة أجهزة أمنية تضم أربعين ألفاً من المجندين الذين يحملون السلاح، وتجدر الإشارة إلى أن "عملية بناء مؤسسات السلطة لا تتم بالشكل السليم لأنها مرتبطة بالأفراد وبشكل خاص بالقيادة الفلسطينية، فتقرير اللجنة الاقتصادية التابع لهيئة الرقابة العامة، وتقرير اللجنة الاقتصادية التابعة للمجلس التشريعي تشيران - بالإضافة إلى ما نشر بالصحافة الأجنبية والإسرائيلية والإشاعات المنتشرة بين صفوف الشعب الفلسطيني - إلى أن عملية بناء المؤسسات الفلسطينية ليست كما يجب، وأن هناك فساداً واسع الانتشار يتخلل هذه العملية في الشارع الفلسطيني، ذلك أن أغلبية كبيرة - ما بين 50 إلى 60% - تعتقد أن هناك فساداً من نوع ما في صفوف أجهزة السلطة الفلسطينية وأن هذا الفساد قد يزداد في المستقبل" [(1)].

وتزداد الخطورة عندما يتعلق الأمر بوجود صراع بين هذه الأجهزة الأمنية على المواقع وعلى والوظائف يصل أحياناً إلى تبادل إطلاق النار.

ثانيا- التحولات الاجتماعية:

منذ اليوم الأول للاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967 أقيمت سلطة عسكرية خاصة تابعة لوزارة الحرب الإسرائيلية، حيث قامت هذه السلطة بتنفيذ السياسة الإسرائيلية المبنية على التوسع الاستيطاني، فاستخدمت أساليب ووسائل لسلب الأراضي والمياه والمصادر الاقتصادية الأخرى، وعملت على تقييد حرية الفلسطينيين وخاصة في مجال السفر للخارج أو إنشاء بنية تحتية أو مؤسسات تعليمية (جامعات) أو التوسع العمراني.

في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات بدأت صحوة إسلامية جديدة في الأراضي المحتلة كان من أسباب وجودها " فشل الأنظمة العربي في مواجهة إسرائيل، وتراجع المد القومي واليساري الذي شكل في فترة من فترات الصراع أملاً تعلقت به الجماهير الفلسطينية

---

(1) غسان عبد الخالق، الحال الفلسطيني بعد ثلاثين عاما من حزيران 1967 ، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان الأردن، 1998، ص 47.

من أجل التحرير، علاوة على ذلك بدأت قيادات جديدة من المثقفين ممن ينتمون إلى أصـول اجتماعية شعبية تمارس دوراً فعالاً في حركة الأخوان المسلمين"[1].

وكان قرار ضم القدس ومحيطها من القرى الفلسطينية من أخطر الإجراءات التعسفية التي مارسها الاحتلال الصهيوني، فقد قام هذا الاحتلال بفرض وتطبيق قيود صـارمة علـى توسع العمران، بالإضافة إلى مصادرة معظم الأراضي المحيطة بالقدس، وأعد خططا هيكلية خصصت فيها هذه الأراضي للاستيطان، أما الأراضي التي لم يتمكن من الاستيلاء عليها لأنها واقعة ضمن الأحياء الفلسطينية فحولها إلى أرض خضراء بحجة الانتفاع العام، ثم تبع ذلـك إجراءات ظالمة لتفريغ المدينة المقدسة من أهلها، وخصوصاً طريقة تصنيف المناطق وفرض الضرائب الباهظة، ومنع ترميم المنازل في البلدة القديمة، وإهمال البنية التحتية فـي الأحيـاء العربية وغيرها[2].

ثالثا- التحولات النفسية:

حرصت إسرائيل على استثمار هزيمة حرب 1967 بتشويه الشخصية العربيـة مـن خلال حملة دعائية أكاديمية متقنة قام بها الجنرال (هاركابي) مدير المخـابرات الإسـرائيلية السابق، والذي – بعد أن ترك الخدمة – أصبح أستاذاً لعلم النفس الاجتماعي، وذلك في دراسة شهيرة نشرها في مجلة (أوربس) Orbis الأمريكية بعنوان (لماذا انهار العرب فـي حـرب الأيام الستة)[3].

وقـد قـام بعـض البـاحثين الإسـرائيليين بـإجراء تحليـل للشخـصية العربيـة – حسب زعمهم – "فخلصوا إلى أن من أبرز خصائص الشخصية العربية: العدوانية الأصيلة وأرجعوا ذلك إلى الدين الإسلامي الذي اتهموه زوراً بأنه ذو نزعة حربيـة، كمـا وصـفوا الشخصية العربية بالانفعالية اللاعقلانية، لأنها لا تقبل دولة إسرائيل وردوا هذا الأمـر إلـى الضعف الحضاري عند العرب، ثم نعتوا الشخصية العربية بأن الشعور الحاد بالإحباط يتملكها لأن العرب فشلوا في عمليات تحديث مجتمعاتهم مقارنة بإنجازات إسرائيل" [4].

وقد ظهرت موجة من النقد الذاتي العربي بعد النكسة، ولعل كتاب صادق جلال العظم (النقد الذاتي بعد الهزيمة) هو أبرز كتب النقد الذاتي وأنضجها، ولا يعني ذلك بطبيعة الحـال

---

(1) بسام الصالحي، الزعامة السياسية والدينية في الأرض المحتلة، واقعها وتطورها، 1967-1993، القدس، دار القدس للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص204.

(2) انظر: القدس والحال الفلسطيني وقراءات في الأمن القومي العربي، ص147-158.

(3) حرب يونيو 1967 بعد ثلاثين سنة ص 51.

(4) انظر المرجع السابق ص 52-53.

أن العظم كان موفقاً في كل التحليلات التي قدمها بصدد الشخصية القومية العربية، وقد كـان من أبرز تفسيراته لعوامل الهزيمة النوعية الخاصة للشخصية القومية العربية "أنها تميل إلـى إزاحة المسئولية عن النفس وإسقاطها على الغير، وتتمثل هذه النزعة فـي محاولـة إرجـاع الهزيمة العربية إلى عوامل خارجية سعياً وراء البعد عن النفاذ إلى حقيقة الأوضاع العربيـة الداخليـة الخاصـة بتنظـيم المجتمـع العربـي، والتـي أسـهمت مباشـرة فـي تحقيـق الهزيمة" [1].

من جهة أخرى قام الباحث حامد عمار بدراسة في إطار هذا الموضوع حيث يقـول: "يشعر المصري في قرارة نفسه بالنقمة والسخط على الأوضاع التي توجد التمايز والتفرقة أيا كان نوعها، ومهما تكن دوافعها ومبرراتها، ويتصل بهذا عدم الاعتراف بالسلطة أو الرئاسـة والتنكر لها في أعماق الشعور"[2].

أما العظم فيرى أن الخصال التقليدية تجعلنا عاجزين عن تقبل الحقيقة والواقع، وفقـاً لما تفرضه الظروف الحرجة من تصرف سريع، وتضطرنا لإخفاء العيوب والفشل والنقائص بغية إنقاذ المظاهر والحفاظ على ماء الوجه.

وبالمقابل يمكن القول "إن الشخصية العربية تزخر بعديد من الإيجابيـات التـي هـي ميراث الأجيال المناضلة المتعاقبة التي كافحت بشرف وسخاء ضد المحتل الأجنبـي، والتـي رفضت - بالرغم من الصعوبات الشاقة التي مارست فيها نضالها – أن تفرط في شبر واحـد من التراث الوطني"[3].

وخلاصة القول: إن الشخصية العربية جديرة بنظرة علمية متوازنة، لا تسقط في هوة اليأس القاتل بالتركيز على السلبيات، ولا تغامر بالمبالغة الفجة حول الإيجابيات.

لقد استطاع القرار التاريخي بالاقتحام والعبور عام (1973) وسط المخاطر المحدقة، والشدائد المحيطة، والضغوط السياسية والعسكرية العنيفة أن "يقضي بـضربة واحـدة علـى حتمية الخضوع والاستسلام لإرادة إسرائيل المطلقة، وأن يثبت قدرة الشعب العربـي علـى تحدي النموذج الصهيوني الغربي الجذور الذي حاول خلال عشرات السنين أن يرسـخ فـي الأذهان تفوقه الحضاري، وقوته العسكرية الخارقة.

---

(1) المرجع السابق ص59.

(2) المرجع السابق ص61.

(3) المرجع السابق ص69.

لقد استطاع الشعب العربي في مرحلة زمنية لا تتجاوز السنوات الست أن يستوعب صدمة الهزيمة الساحقة في يونيو (1967)، وأن يعيد بتركيز شديد تجديد قواته المسلحة وأن يهب نفسه للإعداد للحرب، متبعاً في ذلك أحدث الوسائل والأساليب".[1]

رابعاً- آثار هزيمة حرب 1967 في الثقافة:

بدأ الهجوم الإسرائيلي صباح يوم (الاثنين الخامس من يونيو عام 1967)، وكان هدفه في أول غارة تدمير كل المطارات المصرية، فتحطمت معظم طائرات سلاح الجو المصري على الأرض، ثم اتجه الهجوم بكل ثقله وقوته إلى سوريا والأردن ودمر مطارات البلدين أيضاً، وحطم معظم طائراتهما، وبذلك تمت السيطرة المطلقة لسلاح الجو الإسرائيلي، وتقرير مصير المعركة.

أدرك المصريون أن شيئاً غير عادي يحدث لا صلة له بالنصر، وبما يذاع على الرغم من البيانات الحربية المبالغة التي تنضح كذباً، فقد بدأت أخبار الهزيمة تتوالى عبر الأخبار الشفوية المنقولة عن الذين يعيشون قريباً من خط النار، ووكالات الأنباء الأجنبية، والإذاعات الخارجية.

للوهلة الأولى كان رد الفعل عفوياً وعاطفياً، "لأن الهزيمة أصابت الوطن في مقتل، وكان طعمها مريراً وقاسياً، للمفارقة المذهلة بين الأمل الذي كانت أجهزة الإعلام تبشر به، والقوة العسكرية الضاربة التي كانت ترسم لها صوراً زاهية براقة، وبين الواقع الكئيب الذي انتهينا إليه، لقد ألقى بالجميع من أعلى القمة الطافحة بالأمل إلى قاع الهاوية الحافلة بالذل، وصنوف الإحباط، واليأس، والتمزق، والضياع"[2].

سيطر الحزن على العقول والقلوب، وأطل من العيون وشاعت الكآبة واللامبالاة، "وارتفع معدل استهلاك المهدئات والمنبهات والمخدرات والمغيبات والخمور، وارتفع عدد المصابين بالأمراض العقلية والنفسية والعصبية، وطالت كبار الكتاب ومشاهيرهم، وعولجوا في الخارج أو في مصر، أو انتهى بهم الحال إلى مستشفى الأمراض العقلية، وعولج شاعر ورسام كبير في الولايات المتحدة، وعولج روائي ومسرحي وقاص مبدع في لندن، وفقد شاعر وكاتب مسرحي موهوب اتزانه، فأخذ يتجول في الشوارع حافياً عارياً، وأصبح صحفي ومفكر

(1) المرجع السابق ص72.

(2) حرب يونيو 1967 بعد ثلاثين سنة ص 87.

لامع ضيفاً دائماً على أقسام الشرطة، صريع الإحساس باضطهاد الآخرين له، ثم استقر أخيراً في مستشفى الأمراض العقلية" [1].

لقد تركت الهزيمة بصماتها في حياة الناس عامة، والمثقفين خاصة، وفي معتقـداتهم وسلوكهم وفكرهم، فارتدوا عن القيم، وشكّوا في المثل، فتعلقوا بتوافه الحياة، وانفتحوا علـى الملذات الحسية.

وعندما سكنت العاطفة، جاء دور العقل، يتأمل هول الكارثة، فاختلف المثقفـون فـي تفسيرها، فبعضهم ردها إلى ابتعادنا عن الدين، وشيوع الخطايا والمعاصي والمظالم، وآخرون رأوا أن هذه فرصة للتخلص من قبضة العسكريين وبناء حياة ديمقراطيـة، وفريـق رأى أن النصر لا يتحقق إلا ببناء الشخصية العربية على أسس جديدة، والعمل بثبات ونفـس طويـل، ورفض الهزيمة بقوة، وإعلاء نماذج التضحية والفداء، والكشف عن جوهر الدين الإسـلامي في صموده وسعة عطائه، واكتسب هذا الاتجاه أنصاراً كثيرين داخل أروقة الجامعات.

"وهناك أنماط من المثقفين يحار المرء في تصنيفهم، ربما لكثرتهم، وربما لتنقلهم بين الاتجاهات المختلفة، فاليساريون يتفاوتون اعتدالاً وتطرفاً، بينهم الصادق المخلص، والمناضل العنيد، والرومانسي الحالم، وهناك الليبراليون الذين يؤمنون بالحرية كما يمارسـها الغـرب، وكما أشاعتها الثورة الفرنسية، ويرونها الطريق الأكمل لكل تقدم، وهناك جماعات من المثقفين الفقراء، يلوذون بالمقاهي ينقدون كل شيء، أما التيار الإسلامي فانطوى علـى نفـسه، ينكـأ جرحه، ويتقي الملاحقة والاضطهاد ما أمكنه، لا يكاد يبرأ من ضربة قاصمة، حتى توجه إليه ضربة أقسى، ولكنه لم يفقد توازنه ولم يتلاش" [2].

---

(1) المرجع السابق ص87.

(2) المرجع السابق ص 90-91.

خامسا- آثار الهزيمة في الشعر الفلسطيني

قطع الشعر الفلسطيني أشواطاً بعيدة في تطوره وتجديده ومعاصرته تساير التطور الذي قطعته القصيدة العربية في مختلف أقطار الوطن العربي، وكذلك استطاع الشاعر الفلسطيني أن يتغلب على واقع الهزيمة وآثارها وآلامها، وأن يتجاوز التطورات السياسية والنضالية والفكرية التي وجد نفسه في مواجهتها بعد النكسة، وخير دليل على ذلك أنه استلهم معطيات التراث دينياً وتاريخياً وثقافياً، فقد استلهم مضامين الدين الإسلامي، ومضامين الديانات السابقة، وقصص الأنبياء والأقوام السابقة، ومضامين التراث الأدبي العربي، والمضمون الأسطوري بجوانبه المختلفة العربية وغير العربية، ووظف ذلك كله في شعره.

وقد تمكن الشاعر الفلسطيني في شعره من الاستفادة من العوامل الإقليمية كالعادات والتقاليد في المجتمع الفلسطيني، والشخصيات الأدبية السياسية، والأحداث التي تمر بالبلاد، وذلك لخدمة قضيته، وهذا أضاف لشعره مميزات أخرى، ومذاقاً خاصاً، ونكهة متفردة.

كما أن الشاعر الفلسطيني كان على وعي بالواقع الجديد الذي فرض على فلسطين وشعبها، ورصد الممارسات الصهيونية الوحشية للسيطرة على البلاد والمقدسات والمقدرات وتهويدها ، فأخذ دوره في التصدي لهذا الواقع والدفاع عن وطنه، وبالتالي ظهرت مضامين جديدة على سطح ديوان الشعر الفلسطيني منها بث روح الوطنية والحماس في قلوب الناس، ودعوتهم لحمل السلاح والدفاع عن الوطن بالمال والولد ، وقد شارك بشعره وبنفسه في المقاومة الفلسطينية ضد الصهاينة من أجل التحرير، فتابع معركة الكرامة، وحرب أكتوبر، والاجتياح الإسرائيلي للبنان، ولم ينسَ دوره في حرب الخليج، وفي مفاوضات السلام العربية والفلسطينية مع إسرائيل، كما شارك أيضاً بشعره ونفسه في انتفاضتي الشعب الفلسطيني ضد العدو الصهيوني.

ولعل ما يميز القصيدة الفلسطينية بروز التطور الفكري فيها بشكل جلي، فقد التزم الشاعر الفلسطيني بقضية بلاده وربطها بالبعد العالمي وبالجانب الإنساني، فناصر جميع حركات التحرر الوطني العربية والعالمية ضد جميع أشكال الاستعمار، باعتبار أن قضية فلسطين هي جزء من القضايا الأممية الباحثة عن التحرر والاستقلال.

وعلى الصعيد الفني، فقد تأثر الشعر الفلسطيني بالاتجاهات والمذاهب الأدبية التي شاعت في بلاد الغرب، والتي هبت بعض رياحها على المنطقة العربية، وقد ظهر في خصائصه من حيث اللغة ملامح التطور والمعاصرة من خلال تفاعل لغة الشعر الفلسطيني مع روح المجتمع الفلسطيني، فبرزت مضامين التراث الشعبي والعادات

والتقاليد الاجتماعية، والألفاظ الشعبية والأغاني والمواويل الشعبية، والأمثال والحكايـات الشعبية، كما احتوت لغة الشعر الفلسطيني الكثير من المضامين الجغرافيـة كالأراضـي والقرى والمدن الفلسطينية، وأسماء النباتات والأشجار والثمار والورود والأزهار والأودية والجبال والسهول بالإضافة إلى احتوائها على مصطلحات المأساة وألفاظها ورموزها.

كان للنكسة التي حدثت عام 1967 أثر كبير في بلورة كثير من القـضايا التـي تخص الشعب الفلسطيني، فبعد أن تم الاستيلاء على فلـسطين كاملـة، اتـسعت دائـرة المواجهة مع الصهاينة، وقد تناول الشعراء كل القضايا التي تهم الشعب الفلسطيني، وفـي طليعتها مقاومة الاحتلال باعتبار أن الشعر هو الممثل لما يدور من صراع، وهو الصوت الذي يمكن أن يخرج عن دائرة الحصار الفكري والسياسي والثقافي المفروض على أبناء الشعب الفلسطيني.

عندما تشتعل الثورة في قلب الشاعر، لا يجد أمامـه – ليعبـر عنهـا – سـوى الأحاسيس والمشاعر، ومن ثم يترجمها إلى صوت مسموع من خلال نظمه للشعر، وتعتبر دماء الشهداء وآلام الجرحى والأسرى وعذابات ومعاناة الناس هي وقود هذه الثورة التـي تطالب بالحرية والاستقلال، وترفض الضعف والاستسلام، إنها المقاومة والمواجهة التـي "نادى بها الشاعر سميح القاسم في قصيدة له بعنوان (لو):

يا خطوة لا تعرف الرجوع
يا ثورة لا تعرف الخنوع
سيصدق الكلام!
ستصدق الأحلام
ستصدق الصلاة!

هذه الثورة التي أرسلها الشاعر في قصيدته ليس من أجل الثورة، ولا حبـاً فـي الدماء، ولكن من أجل الحياة والبقاء كشعوب الأرض المتحررة، ويراها الـشاعر بأنهـا مشروعة مهما كان الثمن"[(1)].

ومن القصائد الرائعة التي جمعت بين تحدي العدو ومقاومته، قصيدة (دمي علـى كفي) للشاعر سميح القاسم أيضاً، حيث يعلن فيها أنه ثابت على أرضه كالجبـل الأشـم، راسخٌ ومتجذر في وطنه رغم الآلام والهموم والأحزان، ويرى أن المقاومة هي الـسبيل الوحيد لدفع هذه الظروف و رفضها يقول، الشاعر:

---

(1) يحيى زكريا الأغا، إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر ص 102-103.

ربما أفقد – ما شئت – معاشي
ربما أعمل حجاراً – وعتالاً- وكناس شوارع
ربما
ربما تسلبني آخر شبر من ترابي
يا عدو الشمس –لكن-... لن أساوم
وإلى آخر نبض في عروقي... سأقاوم[1].

أما فدوى طوقان فقد تطورت وزادت شهرتها خاصة بعد حرب حزيران 1967، فأغنت الشعر العربي الحديث بالشعر الرشيق، البعيد عن التكلف، وقد " انضمت إلى المجموعة البارزة من شعراء المقاومة الذين كانوا يكتبون منذ زمن داخل إسرائيل نفسها، ويعبرون عن احتجاجهم ضد الهيمنة الإسرائيلية.

وعندما رأت فدوى طوقان وطنها يقع ضحية للاحتلال مرة ثانية، وشاهدت الهجرة الجماعية الجديدة للفلسطينيين الذين أجبروا على ترك مساكنهم، تحولت إلى صوت من أقوى الأصوات المنطلقة دفاعاً عن شعبها وعن حقوقه، وكثيراً ما كانت تظهر أمام الحشود الضخمة في الحملات سعياً للحفاظ على إيمان الناس بجدوى النضال والمقاومة"[2].

لقد نشطت الحركة الشعرية داخل الأراضي المحتلة، فلمعت أسماء عرفها الناس كرواد لهذه الحركة كتوفيق زياد ومحمود درويش وسميح القاسم وغيرهم، " فأخذت أشعارهم تزود القراء العرب بسلاح لفظي قوي ضد الظروف المأساوية التي يحياها شعبهم، وقد قدر لهذه الأسماء التي استقبلت بابتهاج شديد أن تغدو مع مر السنين أسماء يعرفها الناس على انتشار رقعة العالم العربي"[3].

نلاحظ أن الشعر الفلسطيني المعاصر ساهم مساهمةً مباشرةً في إشعال نار الثورة ولهيب الانتفاضة، وأن الشعراء الفلسطينيين أخذوا دورهم في الدفاع عن وطنهم ومقدساتهم، وأنهم من خلال شعرهم نشروا ثقافة المقاومة والجهاد، ووظفوا دماء الشهداء، ونزيف الجرحى، ومعاناة الأسرى، لإيقاظ المشاعر والأحاسيس، وأن شعرهم جاء معبراً بشكلٍ جلي عن الحالة الفلسطينية.

(1) المرجع السابق ص 88-89.

(2) سلمي الجيوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص49.

(3) المرجع السابق ص 49.

الفصل الثاني

الدراسة الموضوعية لمضامين شعر الشهادة

تعريف الشهادة لغة واصطلاحاً:

1- الشهيد في اللغة:

ورد في لسان العرب: حرف الدال، فصل الشين:

"شَهِد : حضر، وشهده: حضره، وقوم شهود أي حضور، وشهد فلان على فـلان بحق: فهو شاهد وشهيد.

وشهيد على وزن فعيل، وهي أبنية المبالغة، والشهيد المقتـول فـي سـبيل الله، والجمع شهداء، واستشهد، قتل شهيدا، وتشهد، طلب الشهادة، والشهيد الحي، أي هو حـي عند ربه"[(1)].

قال أبو إسحاق: الشهيد من أسماء الله. وقيل: الشهيد: الذي لا يغيب عـن علمـه شيء وفعيل: من أبنية المبالغة في الفاعل:

- فإذا اعتبر العلم مطلقا فهو: العليم.
- وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو: الخبير.
- وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو: الشهيد.

قال ابن فارس:" الشين والهاء والدال، أصل يدل على حضور وعلم"[(2)].

وقال ابن الأنباري: "سمي الشهيد شهيداً لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، وقيل سموا شهداء لأنهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبي – صلى الله عليه وسلم- على الأمم الخالية"[(3)].

2- الشهيد في الاصطلاح:

" وهو من مات من المسلمين في جهاد الكفار بسبب من أسباب قتالهم، قبـل انقـضاء القتال، كأن قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم، أو عاد إليه سلاحه، أو تردى في بئر أو هـدة أو رفسته دابته فمات، أو قتله مسلم باغ استعان به أهل الحرب"[(4)].

عن النضر بن شميل في تفسير الشهيد الذي يستشهد : الحي، أي هو عند ربه حي...

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج3، ص 342.

(2) أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيـع، بيروت، ط1، 1994، ج3، ص221.

(3) محمد الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 1996، ج2، ص391.

(4) نزار ريان، أحاديث الشهادة والشهيد، (رسالة ماجستير)، غزة، 1990، ص 1، 2.

وقال الكسائي: أشهد الرجل إذا استشهد في سبيل الله، فهو مشهد بفتح الهاء، وأنشد: أنا أقول سأموت مشهداً. قال الشهيد في الأصل: من قتل مجاهداً في سبيل الله، ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي - صلى الله عليه وسلم - من: " المبطون والغرق، والحرق، وصاحب الهدم، وذات الجنب وغيرهم، وسمي شهيداً لأن ملائكته شهود بالجنة، وقيل: لأنه حي لم يمت كأنه شاهد حاضر. وقيل: لأن ملائكة الرحمة تشهده، وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، وقيل: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، وقيل غير ذلك"[1] .

والشهادة مصطلح إسلامي، ولفظ شرعي" كلفظ الزكاة والصلاة، لا يصح استبداله بغيره من الألفاظ كما لا يصح صرفه على كل رائح وغاد.

ولا يجوز إطلاقه على كل إنسان تحسبه زمرته شهيداً، إذ هو لفظ له مواصفات وضوابط، فمن بدا من ظاهره أنه كذلك، أطلق عليه لفظ الشهيد، من باب حسن الظن بالله... وهو مصطلح إسلامي، لا يصح إطلاقه على أهل الكفر: من كانوا من أهل الكتاب أو المشركين أو المرتدين، ويأثم من يطلق عليهم هذا اللفظ، أو يقوم بعمل من شأنه أن يشهد للكفرة بأنهم شهداء... والكافر الذي يقتل في أية معركة فهو في النار، ولا يقال عنه شهيد، ولا يعامل معاملة الشهداء، إذ هذا اللفظ مصطلح إسلامي"[2]. ويتعامل البحث هنا مع مفهوم الشهادة في سبيل الله، بمعنى من مات في قتال مع الأعداء مواجهة أو غيلة، مقاتلا أم مدنيا.

أولاً- الشهادة والهزيمة

ذاق العرب والمسلمون عامة، والفلسطينيون خاصة مرارة هزيمة 1967، فاشتعلت القلوب حزناً، والعقول تشتتاً، والمشاعر اضطراباً، وكان في طليعة من عبروا عن هذه الحالة الشعراء (لسان الأمة وصوتها).

وأبلغ الشعر ما صدر عن تجربة شعورية صادقة، لذا فقد كان للشاعر الفلسطيني التميز والتقدمة في التعبير عن هذه الحالة، لأنه ابن القضية، ومتجرع آلام الهزيمة.

ففي قصيدة (هوامش على هزيمة شاعر) يتحدث الشاعر محمد حلمي الريشة عن حال العرب والمسلمين وما أصابهم من هزائم بسبب خيانة البعض وفسادهم وولائهم للأعداء يقول:

جريمةٌ..

---

(1) عبد البديع عراق، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، مؤسسة الأسوار، عكا، ط1، 2002م ص 10-11.

(2) أحاديث الشهادة والشهيد، ص 5، 6.

وراءها جريمة

وفوقها خديعة

وتحتها خليعة،

كيف لنا أن نكسر الهزيمة؟

إذا كان الذين شوهوا

ومزقوا

وأحرقوا

وشاركوا الأعداء قد، تعلموا

القتال ضد الطفل والغلام

وقطعوا الأرحام[1] .

قلوب الفلسطينيين كالسنابل التي تملأ الأرض قمحاً، ونفوسهم كأرضهم آية في الصمود، فالشاعرة فدوى طوقان عاشت في مدينة نابلس هزيمة حزيران 1967، فصورت لنا كفاح ابن عمها (حمزة) مرفوع الرأس، عالي الجبين، أمام العدو الصهيوني، حين هدموا داره، فلم يضعف، بل بقي راسخاً في أرضه كالجبل الأشم:

قال لي حين التقينا ذات يوم

وأنا أخبط في تيه الهزيمة

اصمدي، لا تضعفي يا ابنة عمي

هذه الأرض التي تحصدها

نار الجريمة

والتي تنكمش اليوم بحزن وسكوت

هذه الأرض سيبقى

قلبها المغدور حياً لا يموت[2]

فرغم الجريمة التي ارتكبها الأعداء، والتي أشعلت نار الأحزان والآلام على فقدان الشهداء، فقد ربط الشاعر بين الأرض ذات القلب المغدور وبين الشهداء الذين رووا بدمائهم الزكية ثراها، فهي تنكمش وتحزن وتسكت إجلالاً لهذه الدماء الطاهرة التي بعثت في كل حبة رمل من هذه الأرض الحياة من جديد، حتى أصبحت قمة في الصلابة، وآية في الصمود، وأسطورة في دفع الأعداء، (فسيبقى قلبها المغدور حياً لا يموت).

---

(1) محمد حلمي الريشة، حالات في اتساع الروح، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط1، 1992م، ص 23.

(2) ديوان فدوى طوقان، الأعمال الكاملة (قصيدة حمزة)، دار العودة، بيروت، 1978م ص542.

وفي قصيدة بعنوان (قطر السحر وألبوم ممل) للشاعر علاء نعيم الغول، يتذكر فيها آلام حزيران، ومرارة النكسة، فطغى على هذه القصيدة جو من السوداوية امتزج مع مشاعر وأحاسيس الشاعر، فقد كانت ذكرى هزيمة حزيران سيئة على الأحياء والأموات (شهداء المعركة)، فرغم كثرة عدد الشهداء في هذه المعركة،لم يكن النصر حليف العرب، ويمتد سوء هذه الذكرى على الشهداء فقد أحزنتهم نتائج المعركة، وهم الذين جعلوا من أرواحهم ودمائهم قرباناً من أجل هذا النصر:

لو كان في
السحر الشهي بقية
ما ضاق بي
هذا المساء وعدت
وحدي مفرغاً
آه حزيران ابتعد
ما أنت إلا
ذكريات سيئة[1] .

وتمتد ذكريات الهزيمة السيئة إلى ديوان آخر بعنوان (أما لهذا الليل من آخر؟) للشاعر أبي النصر التميمي، حيث يرى أن البلاء والنوازل لازالت تترى، وما النكبة والنكسة إلا جزء من هذه السلسلة، والأسباب هي هي، كما أن النتائج هي هي:

ربــاه مـــا هـــذا الــبلاء المحْــدِق	العــيشُ أظلــم والنــوازل تُطبِــقُ
فــي كــل يــوم نكبــةٌ ومــصيبةٌ	أو نكــسة ملعونــة أو مــأزقُ
ونــسورنا قــد كُممــت أفواههــا	غربانــنا فــي كــل نــادٍ تزعــقُ
والبلبــل الــصداح كُبِــلَ شــدوه	والبوم يمرح فـي الربـوع وينعـقُ[2]

لقد تجرع الشاعر مرارة هزيمة حزيران، كما تجرع من سبقوه آلام النكبة، وقد اعتبر الشاعر ذلك بلاء وكارثة، فضاق بالحياة ذرعاً، وهنا صنف الناس وقسمهم إلى فريقين: فريق

---

(1) علاء الغول، ديوان (بهنبهاي)، اتحاد الكتاب الفلسطنيين، ط1، 1997م ص 47، 48.

(2) أبو النصر التميمي، ديوان (أوفياء الكروم)، دون، 1994م، ص 53.

الشرفاء الذين نالوا شرف الشهادة، وهذا يكفيهم (نسورنا قد كممت أفواهها) و(البلبل الـصداح كبل شدوه)، فبعد أن استشهدوا تركوا فراغاً كبيراً، رغم أنهم ورثوا أمانة المقاومـة لرجـال أشداء مستعدين لمواصلة المسيرة لنصرة الحق، فقام الفريق الثاني –وهم المتخاذلون- يسعون إلى مطامع دنيوية، ومكاسب ماديـة، أو مناصـب أو جـاه (غربانـنـا فـي نـادٍ تزعـق) و(البوم يمرح في الربوع وينعق)، فكلا الفريقين نال مطلبه، وحقق هدفـه، فالـشهداء فـازوا بالشهادة، والآخرون نالوا من الدنيا ما كتبه الله لهم.

ثانياً- الشهادة والمنفى

كان من نتائج النكبة هجرة كثير من أبناء الشعب الفلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والشتات خارج فلسطين، ثم جاءت النكسة، فزادت هموم الشعب الفلسطيني وأحزانه.

ومع مرارة الغربة، وآلام المنفى إلا أن الفلسطيني ظل متمسكاً بحـق العـودة إلـى الوطن، يحلم بهذا اليوم، ويقدم نفسه شهيداً من أجله وقد عبر الشعراء الفلسطينيون عن ذلـك كله، فهذا الشاعر خضر محجز الذي نفي إلى مرج الزهور بجنوب لبنان عام (1992)، فذاق مرارة الغربة، ووحشة البعد عن الأهل والوطن، يخاطب القمر، ويطلب منه أن يحمله إلى تلك الغمامة ليذوب فيها، حتى إذا أوصلته إلى بلاده، حولته إلى مطر لينزل على أرضه، وبـذلك يكون قد تخطّى الحصار، يقول:

فخذوني أذوب بتلك الغمامة
ثم خذني لأهطل فوق الروابي وراء
الشفق..
إن لي ابناً هناك،
وست قصائد بين الغصون،
وعش يمامة،
تنسج الآن دمع العيون يراعاً يراعاً.
ثم خذني إليك ومنك أهيم
شعاعاً شعاعاً
فوق هذا الحصار[1] .

---

(1) خضر محجز، اشتعالات على حافة الأرض، اتحـاد الكتـاب الفلـسطينيين، القـدس، غـزة، 1995م، ص 55، 56.

الشاعر يعشق الشهادة كما يعشق أرض الوطن، لذلك كانت روحه ترنو للوصول إليها بكل الوسائل، يقول وهو في منفاه:

حلمنا معنا، ولكن بقايانا هناك

ومنا لا زال فينا،

وشظايانا هناك

في انتظار الانفجار[1].

ثم نرى الشاعر يحدثنا عن يوم التحدي الذي لبس فيه جميع مبعدي مـرج الزهـور أكفانهم البيضاء متجهين نحو الحدود اللبنانية الإسرائيلية، قاصدين البوابة التي يدخلون منهـا إلى فلسطين، لكن العدو الصهيوني عاجلهم بالرصاص والغاز المسيل للـدموع، يـصف لنـا الشاعر هذا الموقف حيث يقول:

حملتنا من بقايانا العواصف..

فامتشقنا جرحنا الأخضر..

لملمنا دمانا من شرايين الصخور

وتقدمنا.. تحدينا: قصفونا..

ها هو الآن شهيد

يرتقي نحو الأعالي..

اقصفونا..

دائما في قصفكم سوف نزيد.

آثم من قال: نفسي.

آثم من قال: جرحي.

عزلٌ نحن نحامي عن بقايانا

وحق الموت في أرض الجدود[2].

كان مبعدو مرج الزهور أمام خيارين: الأول العودة إلى الـوطن، والخيـار الثـاني الاستشهاد، فقد رفضوا النفي والإبعاد جملة وتفصيلاً، فنجحوا بإصرارهم وتحديهم، فكان لهـم ما أرادوا حيث عادوا إلى أرض الوطن مرفوعي الرأس منتصرين، وقد أغلقوا ملـف النفـي والإبعاد.

(1) المرجع السابق، ص30.

(2) المرجع السابق ص37، 38.

ويبقى قلب الشاعر هارون هاشم رشيد معلقاً – وهو في غربته – بالوطن، فرغم بعد المسافة بينه وبين وطنه وطول الزمن إلا أنه لا زال يتذكر صباه فيها، وهذا يزيد أمله في العودة إليه:

بيني وبينك، يا حبيبة أبحر
فأنا هنا في الاغتراب محير
أرنو إليكِ، وراء أستار الأسى
وأراكِ والدم من عيونك يقْطُر
وأعاود الذكرى، لأيام الصبا
وأروح في صفحاتها أتذكر[1].

الشاعر هارون رشيد يستشعر بحنين يعصر فؤاده بسبب بعده عن وطنه، فهو في حيرة وقلق، فبالإضافة إلى آلام الغربة تتراكم عليه الأحزان، فيشتعل قلبه ناراً عندما يتابع أخبار الأهل والوطن، فقد انتفضت فلسطين كلها على الصهاينة المحتلين، يسمع بسقوط الشهداء والجرحى (وأراك والدم من عيونك يقطر) فيتمنى أن يعود لأيام الصبا حتى يشارك شعبه هذه الانتفاضة وينال شرف الشهادة.

أما دموع الغربة، فستتحول إلى طوفان يغسل عار الهزيمة، وتكون السبب في العودة، هذا ما عبر عنه الشاعر خالد سعيد:

فدموعنا ستكون طوفاناً حكى طوفان نوح
طوفان ثأرٍ غاسلٍ عار الهزيمة والجروح
طوفان ثأر مغرق كل المعاقل والصروح
طوفان نارٍ حارقٍ كرت الإغاثة والنزوح
سنعود فوق الدمع والدم والعرق
سنعود فوق قذائف الإيمان واللحم المِزق
سنعود نتلو آية الإسراء
في المسجد الأقصى وظل الصخرة الشماء[2].

---

(1)هارون هاشم رشيد، ثورة الحجارة، (قصيدة بيني وبينك)، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1988م، ص48.

(2) خالد سعيد، حجر وشجر، (قصيدة الشيخ الشركسي والفتى الفلسطيني)، دون، 1990م، ص42، 43.

الشاعر خالد سعيد مؤمن كل الإيمان بحق العودة، بل إنه متيقن أنها ستكون يوماً مـا، فطول الزمان لا يضيع حقاً، يطلب من المجاهدين مسح عار الهزيمـة، ويـرفض أن يعـيش الهزيمة ويرفض أن يعيش حياته لاجئاً، وهو يدرك صعوبة العـودة، وأنهـا لـن تكـون إلا بالمقاومة والنضال والتضحيات الجسام (سنعود فوق الدمع والدم والعرق) وأنها لن تتحقق إلا (بقذائف الإيمان واللحم الممزق)، سيكون هناك شهداء وجرحى ودماء لكن لـيس مـن مهـر للعودة سوى ذاك.

ولو تصفحنا أشعار باسم الهيجاوي، لوجدنا فيها رائحة الغربة، وآلام المنفى، ولحظات الانتظار الطويل، ونشيد العودة، فمن أمثلة ذلك:

وتكشف لي
رمال البحر عن صدرٍ
يحطم حرقة المنفى
ويمنحني اختصار الوقت...
أجتاز اختبار الموت..
تبدأ من دمي حيفا[1].

ثم يمضي الشاعر في قصيدته (عن الفارس) مؤكداً أنه سيعود إلى حيفا ولو كلفه ذلك الدم أو الشهادة:

أجئ إليكِ..
أعصف في حضور الصمت..
أنزف في حضور الموت..
أرسم بالدم الكلمة
ليورق صوتك الباقي
على قلمي
وأوراقي
ويولد فارس الخيمة[2].

---

(1) باسم الهيجاوي، ليالي الدم والسوسن، دون، ط1، 1992م، ص44.
(2) المرجع السابق ص 45.

الشاعر يريد تحطيم حرقة المنفى، ليعود إلى الوطن بسرعة حتى لو (اجتـاز اختبـار الموت) فقضى شهيداً، أو (نزف في حضور الموت)، فالموت عنده شهادة، والشهادة شـرف وانتصار، هو يريد أن يوصل رسالته التي كتبها بالدم (أرسم بالدم الكلمة) والتي فحواها أنه لا بديل عن الوطن، وستؤتي هذه الرسالة ثمارها (ليورق صوتك الباقي على قلمـي وأوراقـي، ويولد فارس الخيمة).

وفي قصيدته (أحلام التفاصيل الجريحة)، يقول:

البحر يهدر..

كيف نجتاز الحدود؟

والشمس سائحة على الأمواج..

والمنفى بعيد؟

لدمٍ أراقته العواصم..

كيف أبدأ بالنشيد؟

ثم يمضي في حديث عن المنفى:

ها نحن نطلع..

من تفاصيل الجراح الراعفة

ها نحن نشرب خطوة المنفى[1].

تمتزج الغربة لدى الشاعر بوجع الشهادة وجراحاتها، حيث تطل مفردات (الجريمـة، ودم أراقته) وسط تساؤلات مشروعة عن إمكانات العودة والحقوق البدهية في العـيش علـى تراب الوطن دون موانع دموية، تسفك الدماء على مشارف الـوطن، وتـستبيح الأرواح فـي العواصم البعيدة التي لا تساهم في عودة المنفيين، بقدر ما تعمل على قهرهم، والمشاركة فـي مسلسل استشهادهم المادي المعجون بالدم المسفوك والمراق.

ويستشعر الشاعر محمد حلمي الريشة مرارة الغربة، وآلام المنفى، فيضيق صـدره، ويتنفس ليدخل الهواء متتابعاً إلى رئتيه لعله يجد الراحة والسلوان، لكن هذا لم ينفع لأنه فـي منفاه بعيداً عن وطنه، يقول:

تعود شجيرة الشهقات، نابتةً

(1) المرجع السابق ص50، 51، 52.

إلى منفى حكايا الصمت

من منفى حكايا الوقت

نشرع في غوايتنا

يطل الدم ثانيةً

ويدلي دلوه في الجرح

ثم يهيج ممتداً

إلى ما يجعل الدوران في أحداقنا مدا [1].

ويبقى المنفي هو المنفي في نظر الشاعر، لأنه لا يمكن أن يكـون بـأي حـال مـن الأحوال بديلاً عن الوطن، فالدم والجرح والشهداء ما كانوا إلا ثمناً للعودة للوطن (يطل الـدم ثانية، ويدلي دلوه في الجرح)، فالدم الفلسطيني دم غالٍ ونفيس لا يسفح إلا من أجـل تحريـر الأرض وحق العودة للوطن.

وخير دليل على تمسك الفلسطيني بوجوده، داخل الوطن، ورفضه الشديد للعيش فـي المنافي والشتات، أنه يفقد في غربته قيمته كإنسان، يقول الشاعر محمود درويش في خاتمـة قصيدته (رسالة من المنفى):

ما قيمة الإنسان

بلا وطن

بلا علَم

ودونما عنوان

ما قيمة الإنسان؟ [2].

وإذا فقد الإنسان قيمته، فباطن الأرض خير لـه مـن ظاهرهـا، وكـأني بالـشاعر الفلسطيني محمود درويش يدعو الجميع للنفير، فلا مجال أمامهم ولا خيار لهم سوى الجهـاد والمقاومة والفداء والتضحية، إنه قانون الدم الذي يعيد الحق المسلوب، ويرجع للإنسان قيمته، ويحفظ له كرامته.

---

(1) محمد حلمي الريشة، حالات في اتساع الروح، قصيدة (نهران مدا في دمي) ص54، 55.

(2) ديوان محمود درويش (الأعمال الكاملة)، دار العودة، بيروت، ط6، 1987م، ص 175.

ثالثاً- الشهادة والقتل والمقاومة

كتب الله الجهاد على المسلمين، بل جعله ذروة سنام الإسلام، فبالجهاد يصون المسلم عرضه، ويحفظ كرامته، ويدافع عن حقه، ومن ثم يعيش المسلم سعيداً في دنياه تحت ظل رضا ربه، وسعيداً في أخراه لأنه التزم أمر ربه، وانطلاقاً من عقيدة الجهاد عبر الشعراء عن أهميته وضرورته، فهذا الشاعر خضر محمد جحجوح في قصيدته (شريان التحدي) يرى الواقع يفرض نفسه، فيتغلغل في شرايينه، فيصرخ معبراً عن حرقته، وبصراحة وشجاعة ينذر نفسه متحدياً ليدفع آلام هذا الواقع، ولو كان ثمن ذلك روحه ودمه:

ولقد رأيت مصائباً ومكائداً … منها الخيانة تقطر
بيع الأراضي والسلام مع العدى … والسم فينا ينخر
ولذا سأفْجر من دمائي طلقتي … وإلى العلا أتسور
يا أهلنا هذي الحقائق كالبيا … رق في السماء تزمجر
شدوا على البارود شريان التحدي … وانفروا لتحرروا
ولتعلنوها للمهازل أننا … حمم تمور تفجر[1].

ترتبط الشهادة هنا بالموت الإيجابي، القائم على المدافعة مع سبق الإصرار والترصد، ومع الوعي الكامل بثمن المقاومة، حيث ترتبط الشهادة هنا بروح الفدائية والإقدام والاستعداد البطولي للموت والاحتراق والتمزق رغبة في الوصول إلى حرية وكرامة وسيادة للحق.. فالموت والدماء هنا مرتبطان بالصعود إلى المعالي، لأن القرار يتخذه الإنسان الفلسطيني الذي ملّ من التردد وانتظار النصرة، إنها الشهادة المحرضة للآخرين.

وتتكرر المعاني التي حملها الشاعر في القصيدة السابقة نفسها في قصيدة أخرى بعنوان (الخلاص) يقول فيها:

"سنمضي على الدرب حتى نذيق العدو وبال المصير
وتبقى أُخَي شموعاً تضئ... تنير...

ثم يمضي في نفس السياق، داعياً للصمود، والقتال، والمقاومة:

لتعلو الكتائب.. تسمو
على الأفق ناراً ونوراً.. مشاعل

---

(1) خضر محمد جحجوح، صهيل الروح، مركز العلم والثقافة، النصيرات، ط1، 1997م، ص 56.

براكين مجدٍ وثأرٍ.. زلازل.
وترعد.. تبرق
تشرق تورق
تنبت في الصخر جيلاً جديداً يقاتل
أبيا فريداً.. يجاهد، يبقى يصاول
وتعلن بالدم ميلاد شعبٍ
تعاهد في الله ألا يساوم
وأقسم: "يبقى يقاوم.. يبقى يقاوم"[1].

الشاعر خضر جحجوح يحدد طريق الخلاص والتحرير وذلك بمواجهة العدو (حتى نذيق العدو وبال المصير) وستبلغ المواجهة مداها فيكون الشهداء، فدماؤهم هي الوقود وجراحهم هي الشموع، وسيتحول جو المعركة إلى (نار ونور ومشاعل) وإلى (براكين مجد وثأر.. زلازل)، وستؤتي هذه المقاومة ثمارها الذي تورثه للأجيال (تنبت في الصخر جيلاً جديداً يقاتل)، وليس كأي جيل، وإنما (أبياً فريداً.. يجاهد، يبقى يصاول)، فالمقاومة هي التي توحد صفوف الشعب، وتجعله يستعصي على الانكسار أو يتنازل عن حقوقه الشرعية (وتعلن بالدم ميلاد شعب تعاهد في الله ألا يساوم، بل يبقى يقاوم)

أما الشاعر كمال غنيم فيرى أنه يجب التمسك بفريضة الجهاد لدحر يهود عن الأرض الفلسطينية، فمعركتنا مع يهود معركة عزة وكرامة:

واسأل حجارة بلدتي ورمالها
عما رأت من فتية القرآن
شهدت معارك عزة وكرامة
طربت لها الآفاق في استحسان
نادى المنادي: " للجهاد تحركوا
جاءت جحافل كفرهم لطعان"
"جاءت جحافلهم فهبوا جاهدوا
إن الجهاد فريضة الديان"

---

(1) صهيل الروح ص86.

فلتقبلوا صوب المنايا رغبة

إن الشهادة منهل الظمآن[1] .

ويرى في الشهادة مدخلاً لنصرٍ من نوع آخر، يتمثل في انتصار الذات بالحصول على الجنة وما فيها من خيرات، حيث تستقبله جموع الملائكة وسيد الشهداء حمزة، ويتزين بتـاج الوقار، وتحتفل به الحور العين، ويكون الجزاء الأكبر في اللقاء مع الله والحـوار الإيمـاني الرائع الذي ينتهي بحسرة الشهيد وحزنه لعدم تمكنه من العودة إلى الأرض ليقتل في سبيل الله مرة أخرى، يقول في نهاية قصيدة (رسالة شهيد):

ولقد أتيت بلهفة العبد الفقير ....

ثُم يبلغ التحدي والتصدي للعدو ذروته عند الدكتور غنيم وكأنه يقول: (الكف تنتـصر على المخرز)، فيوظف الخسائر الناتجة عن ظلم الصهاينة، ويحولها إلى سلاح للمقاومة يقول في قصيدة أخرى:

هاتوا بنادقكم وكل رصاصكم

وتقدموا فوق القبور تقدموا!

ولتجعلوا أشلاءنا في بحركم

جسر العبور لدولةٍ لا تُهزم!!

ثم يرد عليهم بقوله:

لكن ستنفجر القبور كعبوةٍ

وتُفَتتُ الظل الثقيل وتَحْطم

وتقوض الأشلاء حلماً فاسداً

ويراوغ البحر العميق ويهجم[2] .

فقبور الشهداء تصبح ألغاماً تنفجر بالعدو، ذلك أن الشهداء تتكاثر طاقاتهم من خـلال اندفاع الكثيرين للسير على نهجهم والانتقام ممن ظلمهم، وقد قطف الشاعر ذلك المعنى مـن

(1) كمال غنيم، شروخ في جدار الصمت، رسالة شهيد، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، غزة، ط1، 1994م، ص34،33.

(2) المرجع السابق، رسالة إلى شامير، ص114، 116.

خلال الاتكاء على مفردات الطبيعة التي تفهم المعادلة، فتنحني أمام العاصفة لتثور بعد ذلك بشكل مفاجئ.

أما الشاعر صالح عمر فروانة فيرى أن الانتفاضة هي التعبير (بمطلق الإرادة) عن الرغبة في التحرير، وأنها السبيل لدفع الظلم والقهر، وأن الشهادة ميلاد جديد لحياة سعيدة أو (عرساً أبدياً) لا يعرف العبودية أو الاغتصاب، ويؤكد على أن الشهادة قد تبلغ (أقصى مراتب الحرية)، يقول:

عندما ينتزع المقهور قدرة التغيير
بمطلق الإرادة
تكون الانتفاضة
وحين تكون الشهادة ميلاداً
تكون الحياة عرساً أبدياً[1].

وحينما تتقاطع الشهادة مع العبودية والاغتصاب وتتوازى مع جميع الحريات تبلغ الشهادة أقصى مراتب الحرية.

ولو انتقلنا إلى الشاعر رفيق أحمد علي، فسنجد أنه جعل دم الشهيد يحمل رسالة تحث على الجهاد، وترفض الدموع والحداد:

ماذا يقول دم الشهيد وقد روى منه البلاد؟
وتعطرت منه الربا
وتزينت منه الوهاد
وتلونت منه البيارق
حمرة بعد السواد
ماذا يقول ألا اسمعوا
صوتاً يصيح من الرماد:
لا تسكبوا عند اقتراني بالثرى دمع الحداد!
بل أرسلوها تحْرق الآفاق حي على الجهاد[2] .

---

(1) صالح عمر فروانة، مفردات فلسطينية، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 2004م، ص14.

(2) رفيق أحمد علي، النقش على الهواء، (الغضب)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، غزة، ط1، 1999م، ص 117.

يعطي الشاعر رفيق أحمد علي لدم الشهيد قدسية خاصة، فهـو الـذي روى الـبلاد، وعطر الربا، وزين الوهاد، ولون البيارق، ثم جعله يصيح بصوت مجلجل حي على الجهـاد إيماناً بفعالية هذه الطريق وصحة نتائجها.

ولأن الشاعر علي الخليلي يعيش جو الانتفاضة والمقاومة، نجد إرهاصاته الـشعرية ممزوجة بكل معاني القوة، فكل ما على الأرض يقاوم حتى الدم المسفوح واللحم الممزق:

قاوم
فالعشبة قنبلة،
والوردة قنبلة
وحجارة بيتك من جند الله محملة
وعدك، مقبلة
منك إليك، حشاشة روحي،
قاوم،
والحرب هي الحرب، سجال
من دمك نياشين الصلصال،
ومن لحمك قمح الزلزال
ومن بابك غدنا القادم
قاوم[1] .

لقد آمن الشاعر علي الخليلي بالمقاومة إيماناً جازماً، فكرر فعل الأمر (قاوم) مـرات عديدة في ثنايا قصيدته، بل وصل به الأمر أن جعل من كل الأشياء أدوات للمقاومة: العـشب والوردة والحجارة، ثم يعلن (الحرب هي الحرب) مستعرة مشتعلة، أما الـدم فهـو (نياشـين الصلصال)، وأما اللحم فهو (قمع الزلزال)، وفي النهاية يقرر أنه لن يشرق الغد الباسم إلا من باب المقاومة.

---

(1) علي الخليلي، سبحانك سبحاني من طينك طوفاني، اتحاد الكتاب الفلـسطينيين، القـدس، ط1، 1991م، ص58.

رابعاً- الشهادة والنظام العربي الرسمي

إن شعراء فلسطين كتبوا عن مأساة فلسطين وضياع الأرض، وقيام دولة الصهاينة، وما حل بالشعب الفلسطيني من تشريد وألم وظلم، وربطوا هذه المآسي بالقادة العرب، لأنهم وقفوا متفرجين ولم يهموا بنجدة شعبهم، فكانت القصائد الحارة المليئة بالمرارة والتي أبرزت في ثناياها التشتت العربي، والتشرذم وعدم الوحدة، أو التنسيق والتعاون على أقل تقدير، وهذا سبب جعل الأعداء يطمعون فينا، فيعتدون على حرماتنا، وينهبون خيراتنا ويفرضون الحصار على شعوبنا، لتجويعنا وإذلالنا.

ويحمل الشاعر المرحوم كمال ناصر بشدة على الذين لم يعيدوا للبسمة حياتها، فقال في قصيدته (النكسة) ، يبين من هانت عليهم أنفسهم من الحاكمين، وينذر من تلاعبوا بدماء الشعوب:

ويسألني الليل عن عزمنا ... وكيف تراخى، وكيف وهن
وكيف تشرد شمل الرفاق ... وبات على قيده مرتهن
ومن قوض الصرح في دربنا ... ومن خذل الشعب منا.. ومن؟
فرحت مع الليل أحيا رؤاه ... أعانب في مقلتيه الزمن
وأصغي إليه، ويصغي إلي ... سمير شجون، وخدن شجن
أقص عليه حديث الخيانة ... في أرضنا، وحديث الفتن
وأروي له خسة الحاكمين ... عبيد العبيد، رعاة الدمن
أنوف لهم لا تمس التراب ... فبعض التراب كريم حسن
ولكنها مرغت في الوحول ... وعاشت على ذلها في العفن
عبيد ويبنون للغاصبين ... مواخير في أرضنا للسكن
يبيعون أحلامنا في الحياة ... "ودولارهم" نابض بالدرن[1].

وينتقد الشاعر محمد حلمي الريشة الأنظمة العربية المتخاذلة، والجيوش العربية المعطلة، والمسخرة لحماية الأنظمة والحكومات القائمة:

ألم تر الجيوش في بلادنا
مصطفة في ساحة استقبال؟

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر كمال ناصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م، ص280.

مكدسون كالخزين في معاقل الأقزام؟

لم يأكل التراب من نعالهم

أو تتسخ..

في ساحة احتدام.

لم يعرف الغبار لون وجههم.

ولم تُهز في ثيابهم أكمام

لأنهم..

لم يطلقوا رصاصةً

أو يعرفوا إصابةً

سوى إصابة الحمام[1].

وفي موطن آخر يستنكر الشاعر في قصيدته (خطاب في باحة الدم) الصمت العربي، وكلمات الشجب الجوفاء التي لا تحرك ساكناً فيقول:

هل يسأل الدم المباح عن الحقيقة؟

أو يسأل الجرح المباغَتُ، كيف أسلمه طريقه؟

كانت سمائي مثل آنيةٍ من الفولاذ تسكب نارها

فوق العذارى

والصمت يتلف إرث عاشقة عريقة

لم تهرع الألفاظ من أوكارها

أو ينتفض

بوح الزجاج على نوافذه

ولا اهتزت وريقات الحديقة..[2].

يسخر الشاعر محمد حلمي الريشة من الجيوش العربية التي لم تدافع عن شرف الأمة، بل حصرت مهمتها فقط بحماية الأنظمة الحاكمة، أما دم الشهداء فيستنكر هذا الواقع المهـين، حتى أن هذا الدم، وتلك الجراح يسألان عن سر هذا الخنوع والتقهقر والصمت القاتل، وعـن علة الاكتفاء بالشجب والاستنكار على استحياء بكلمات جوفاء.

(1) محمد حلمي الريشة، حالات في اتساع الروح، هوامش على هزيمة شاعر ص28، 29.

(2) المرجع السابق ص19، 20.

ويتخذ الشاعر (خضر محمد جحجوح) في قصيدة له بعنوان (جيل الحجارة) موقفاً من تخاذل العرب تجاه إخوانهم الفلسطينيين، ويتساءل لماذا لم يـستجيبوا لنـداءات المـستغيثين، ويجيب أن جيوش العرب هزيلة، ولا هم لهم إلا خدمة الحكام، ثم يقطع الأمل منهم:

هل يسمع العرب النداء.. أم بيننا حجب الهواء!!

لو يسمع العرب الصدى.. أترى يلبون النداء؟!

هزل جيوش العرب يا وطني غثاء بل هباء!!

عبدوا الأمير تزلفاً ويرتلون له الولاء!!

خسئوا جميعاً ما لنا فيهم تَمن أو رجاء!![1].

هو لم يطالب منهم الشجب والاستنكار كما يفعلون على عادتهم عند كل مصيبة تحـل بالشعب الفلسطيني، إنما يطالب منهم تحريك قواتهم وطائراتهم لتحرير الأقصى وفلسطين:

يا كل خصيان العروبة، صمتكم ذلٌ وعار

لكننا لم ننتظر شجباً: نهيقاً أو خوار

إنا أردنا أن تقوم الطائرات بصب نار..

فوق العدى لنعيد أقصانا السليب إلى الديار[2] .

إذن لا بد من المعركة وأن (تقوم الطائرات بصب نار.. فوق العـدى) وطبيعـي أن يكون للمعركة نتائج: سقوط شهداء وجرحى ونزيف دم، فالدم المسفوح هو الذي يزيل الـذل والعار، ولن يكون ذلك إلا بإعادة (أقصانا السليب إلى الديار) وتحرير كل شـبر مـن أرض فلسطين الطاهرة من دنس يهود.

ويتكرر رفض الشجب والاستنكار مرة أخرى في شعر صالح فروانة، بل يعتبر تلـك الكلمات جزء من قاموس الكلمات العرجاء:

قاموس الكلمات العرجاء

لجامعة الدول العربية

نحفظه ظهراً عن قلبٍ

من ألف الكلمات إلى الياء

لا يتناسب في مجمله

مع واقع شعب

---

(1) صهيل الروح، قصية جيل الحجارة، ص22.

(2) صهيل الروح / قصيدة زهو الانتصار ص58.

يرفض أن يركع
كلمات لا تغني من جوع أو تُشبع
" نشجب.. نستنكر.. ندفع"[1].

ويبني الشاعر الموقف الخجول لجامعة الدول العربية من الشهداء حيث تعتبرهم قتلى، ولا تعترف بهم كشهداء، يقول:

ودعاء لله الأكرم والأوسع
أن يمنحنا الصبر
ويمنح قتلانا منزلة الشهداء
هذا يعني في قاموس الكلمات العرجاء
أنا نتراجع باستحياء[2].

ويحاول الشاعر أن يكون أكثر وضوحاً، فيصور المصائب والنوائـب التـي لحقـت بالشعب الفلسطيني، والتي يعلمها القاصي والداني، لعله يجد في الأنظمة الحاكمة أذناً صاغية، لكن النتيجة هي شجب واستنكار فقط، يقول:

آلات القتل الفتاكة
طفلٌ-في منزله- يصرعْ
قنبلة تخترق حشايا -إيمان-
جرار يسحق كوخاً
بئراً...
أعشاش عصافير
طائرة تقصف
فلّاحاً يزرع
أجساد تتمزق
تغدو أشلاء
هذا يعني في قاموس الكلمات العرجاء
أنا نتهرب باستحياء.

---

(1) مفردات فلسطينية، قاموس الجامعة العربية ص22.
(2) المرجع السابق، ص22، 23.

خامساً- الشهادة والشعب العربي

الشعوب العربية مغلوبة على أمرها، فالأنظمة القائمة تحكمها بالحديد والنار، حتى أن المواطن العربي في بعض المناطق لا يكاد يجد قوته من شدة الفقر، وإذا سلم من الفقر في بعض المناطق فقد لا يسلم من الجهل وعدم الوعي، كما أن الشعوب العربية مغيبة تماماً عن الساحة السياسية، أو بمعنى آخر هي نائمة مخدرة.

يبعث الشاعر (خضر محمد جحجوح) برسالة إلى أمة العرب في قصيدته (بلاغ) ليخبرها بالمذابح التي ارتكبها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني:

يا عاشق الموت بلغ أمة العرب

من موطني خبراً يعصى على الخطبِ

الذبح فيه وفيه الدم أودية

تجري كما جرت الأنهار في الكثبِ

هذي مذابحنا أضحت تُسطرها

أعيادنا بدماء الشعب في الكتبِ

جاءت جحافلهم تبغي تمزقنا

والطائرات تدك الشعب عن كثبِ[1]

ثم يمضي الشاعر بعد هذا البلاغ في قصيدته (النصر الأكيد) ليؤكد عدم جدوى هذا البلاغ لأن العرب نائمون أو مستسلمون، وأن زعماءهم قد باعوا البلاد للأعداء:

والعرب نائمة تدس الرأس في بئر الخمود

والثائرون السائرون إلى البلاد على النشيد

تعبوا من السير الملطخ بالدماء وبالصديد

واستسلموا للنوم في وكر الثعالب والأسود!

باعوا بلادي للأعادي.. جملة بيع العبيد![2].

وأخيراً يطالب الشاعر من أمة العرب أن تفيق من سباتها، محاولاً أن يستعطفها ويستنهضها لتأخذ دورها:

يا أمتي، والشعر يكوي خافقي، والجرح غائر..

---

(1) صهيل الروح ص27.

(2) المرجع السابق ص 30.

أفلا تفيقي من سباتك تنفضي صمت المقابر

يا ألف مليون، وجرحي جرحكم، ودمي يصابر[1].

ولأن فلسطين تعيش حية نابضة في وجدان وخيال الشاعر هارون هاشم رشيد، فهـو يخاطب الجندي العربي مستدعياً عنده النخوة، ففلسطين لجميع العرب في نظره:

فلـ ـسطين أخـ ـي الجنـ ـدي	بحـ ـ راً، هـ ـ ادراً، وربـ ـ ى
جبـ ـالاً فـ ـي تطاولهـ ـا،	سـ ـموا، تحـ ـضن الـ ـسحبا
وأقداسـ ـ ـ ـ ـاً مخلـ ـ ـ ـ دةً	وتاريخـ ـ ـاً بهـ ـ ـا كتبـ ـ ـا
تمـ ـ ـد إليـ ـ ـك أذرعهـ ـ ـا،	تنـ ـادي الأصـ ـل والنـ ـسبا[2].

أما الشاعر رفيق أحمد علي فيبرز لنا قوة طوفان الشعب، فبمجرد أن يـصل هـذا الشعب إلى درجة الغضب تكون الثورة الممتدة شرقاً وغرباً، وتسيل الدماء الزكية التي تروي شجرة النصر:

سيري قوافل شعبنا وتربصي كل المفارق

لا بد من طوفان شعبٍ ليس ترهبه البنادق

لابد من غضب يزمجر في المغارب والمشارق

فاسلك سبيل الحق يا شعب الرباط ولا تفارق

وإذا الشهيد دماؤه سالت فحن بها البيارق[3]

هذه الأبيات تلقي بظلال الحقيقة على واقع الشعوب العربية، فتطلب منها أن تـصحو من غفلتها، وتنتبه إلى حالها، ومن هنا ينبغي عليها أن تكسر قيود الفقر والجهل والخوف، كما يجب عليها أن تنفض عن كاهلها غبار اللامبالاة واللامـسئولية، وأن توحـد صـفوفها، وأن تزحف (كطوفان شعب ليس ترهبه البنادق) لتغيير الواقع الأليم، ولا بد لها من ثـورة ومـن (غضب يزمجر في المغارب والمشارق)، وفي النهاية يجدر بها أن تدفع الثمن المستحق عليها من دماء وشهداء (وإذا الشهيد دماؤه سالت فحن بها البيارق)، وبعد هذا كله ستكون في مقدمة الأمم المتحضرة المزدهرة.

---

(1) المرجع السابق، البشائر ص 68.

(2) ثورة الحجارة، قصيدة صرخة في وجه جندي عربي ص 36.

(3) النقش على الهواء، قصيدة الغضب ص 120.

سادساً- الشهادة والحالة الاجتماعية

الشاعر المتميز من يلتزم بقضيته الوطنية، فيجمع بين صدق الموقف، وحرارة الشعر، ونفاذ البصيرة، فهو يحمل في داخله أمانة المجتمع، وضمير الأمة، وكرامة الوطن.

وإذا كان الشاعر أكثر التحاماً بمجتمعه، وأكثر وعياً لما يجري حوله، فإنه يجمع الدائرة الاجتماعية والدائرة الإنسانية في دائرة أوسع وأشمل وأعم، ليعبر عن القيم الاجتماعية الإنسانية بوصفه فرداً يعيش في جماعة إنسانية، فيشارك بوجدانه وجوارحه، ويبذل جهده ووقته، بل يضحي بدمه وروحه ليدفع الظلم والقهر والاضطهاد.

إن الشعب الفلسطيني يعاني ليلاً ونهاراً من ويلات ولظى المحتل الصهيوني الذي أذاقه شتى أنواع العذاب، بل بلغ به الإجرام أن يتفنن في اضطهاده وقهره بوسائل مدروسة، وقد استولى على أرضه، وطرد أصحاب هذه الأرض منها ليعيشوا لاجئين في مخيمات ذات مساكن صغيرة وأزقة ضيقة، وقد أوقع في الفلسطينيين مذابح متتابعة، واعتقل عشرات الآلاف من الشباب، واستشهد وجرح الكثير منهم أثناء المواجهات مع العدو الصهيوني، ولا زالت سياسة الطغيان الأسود التي يمارسها العدو الصهيوني سائدة في الأراضي المحتلة رغم ادعائه الباطل أنه يريد السلام.

ورغم السياسة التعسفية التي يمارسها الاحتلال الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني: سياسة الحصار، والتجويع، والتهديد، والتدمير، والتعذيب، إلا أن الشعب الفلسطيني حافظ على بنيانه وكيانه، بل ازداد صلابة وتحدياً، فأسطورة الفلسطيني (الفقير) التي سجلها أحمد دحبور في قصيدته (الفهد ينشر أسراره) - وقد نسجها بمناسبة استشهاد قائد عملية الخالصة (فؤاد زيدان) ورفاقه الثلاثة – توضح مدى هذا التحدي، يقول:

ولعصفورة الفهد موعدها،
يتقدم وعل،
فيأتي الثلاثة في موكب الفقراء
وتنهض زنبقة في مدار أسير
يصافحها الواصلون فينهدم الأسر
والأرض تخضر
تخضر تخضر حتى تحاذي السماء[1].

---

(1) إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر ص150، 151.

لقد حدد الشاعر السبيل الموصل إلى الوطن من خلال ما سار عليه شهداء الخالصة الثلاثة، حيث أنهم استطاعوا تحقيق أمانيهم وآمالهم، وذلك تعطرت عندما الأرض بدمائهم الزكية التي امتزجت بذرات ترابها، فاخضرت وتحولت إلى زنابق يصافحها الواصلون، وبذلك تكسرت أمامهم كل الحواجز والموانع والسدود.

لقد أراد الشاعر دحبور – في موطنٍ آخر – أن يعرف الإنسان الفلسطيني مفتخراً بانتسابه لفلسطين، فيقول: أنا إنسان فلسطيني، والفلسطيني متميز عن غيره، فهو الصبور الذي يقهر الظلم، والثابت الذي يغالب المعاناة، والقوي الذي يتحمل العذاب والأذى، وهو الذي كتب على صفحة العزة عبارة (أنا الفلسطيني) وكأنه يقول أيضاً: أنا صاحب الكرامة والشرف لا يعيقني لنيل حريتي ذلٌ ولا استعباد، لأني أملك مقومات الصمود والتحدي.

الآن يبتدئ الحوار... دمي يغطيني
والأرض تسلبني
يا قهر يا زمني
إن كان حدك راعفاً... فأنا فلسطيني[1].

والبطل الفلسطيني يطلب الشهادة ويتساءل إلى حد الاستغراب: لماذا بقي على قيد الحياة بعد أن دفن رفاقه المقربين، يقول عبد الكريم السبعاوي:

طلبت الشهادة من أول العمر حتى نهايته
وكأني منذ ولدت احتسبت
وكنت إذا دفنت رفاقي في حومة الحرب
أسائل نفسي أما زلتُ حيا؟!
وأخجل حين يجاوبني الصمت![2].

إنه يحتسب عمره كله لله سبحانه وتعالى، فقد نذره للشهادة في سبيله سبحانه، دفاعاً عن الوطن، ولا غرابة إذا توقعها في أية لحظة وخلال أية معركة، لأنها كانت مبتغاه ومراده

(1) أحمد دحبور، ديوان بغير هذا جئت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، 1977م، ص
(2) صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، فلسطين، عدد الثلاثاء 1997/12/25 ص18.

منذ البداية، بل الغرابة في بقائه حياً يرزق مع أن حومة الحرب أتت على كثير مـن رفاقـه، ودفنهم بعد استشهادهم أبطالاً مغاوير.

أما الشاعر خضر ججحوح فيصف ما يحدث في فلسطين في قصيدته (نـشيج)، وقـد يزداد إعجابنا حين تستوقفنا مفردات القصيدة، فقد جمع الشاعر بين أعاصـير النـار، وورد السوافي، وبين السجن والغناء، وبين الشوق والدموع، وبين الزنـابق والـدم، ثـم الطفولـة والجوع... ويقول:

سلاماً عليك إذا ما استباحت
أعاصير نارٍ ورود السوافي
ولما الحمام السجين يغني
ويمزج بالشوق دمع شغافي
وحين الزنابق ترنو بعيداً
لأفق يموج دم ضفافي
ويبكي كطفل ترعرع بين
الأزقة جوعان عريان حافٍ
ويرتجف الخوف رعباً وقهراً
وخيل التتار تجوب الفيافي
وتعلن في الكون قتل الحياة
وسمّ الضياء وزرع الجفاف(1).

ثم يبين مدى الوحشية التي وصل إليها الصهاينة فيقول:

ويشرب دمي هنيئاً مريئاً
بكأس عذابي يوم زفافي(2).

وهكذا نرى فعل يهود المشين بأبناء فلسطين حيث حول حياتهم إلى جحيم، فقد شوهوا الجمال، ودمروا الأخضر واليابس، واعتقلوا الرجال والنساء والأطفال، وقتلوا الشباب، فملأوا الأرض أحزاناً ودموعاً، وتَمردوا على الإنسانية، فلم يرْدعهم قانون ولا مبدأ، فلّونوا الشوارع بالدم، وانتهكوا حرمات الطفولة، ونشروا الخوف والرعب، هدفهم من ذلك قتل الحياة في فلسطين.

---

(1) عرس النار، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000م، ص95، 97.
(2) المرجع السابق ص 98.

ولقد كشف الشاعر محمود مفلح في قصيدته (كيف يركع مسلم؟) فعل يهود الإجرامي، حيث حولوا حياة الفلسطينيين إلى ليل مظلم مخيف، فهتكوا حرمة الطفولة التي كفلتها كل الأعراف والقوانين الدولية، واستخدموا معهم كل الأساليب الخَسِيسة، لكن الفلسطينيين رغم ذلك تَسلحوا بعقيدتهم، وتعالوا على أوجاعهم فواجهوا عدوهم بكل كبرياء وشجاعة، يقول:

الليل نعرفه ونعرف جرحه
ولكم تضج بجرحه الأكباد
ولكم مشى فوق الحصى أطفالنا
وترنحت في بؤسها الأجساد
ولكم تهز المؤمنين عواصفٌ
والمؤمنون إزاءها أطواد

جاءوا من الجرح القديم وطبعهم
طبع الرياح ترفق وعناد
في الليل قد عزفوا على أوجاعهم
فتساقط الطاغوت والإلحاد
إني لألمحهم على صهواتهم
كالموج ليس لمده أبعاد
جيل تحركه العقيدة مترع
بالكبرياء وسيفه استشهاد
ضمرت من الهم العظيم جسومهم
ولقد تنوء بعبئها الأجساد
يمضي على درب الشهادة مؤمناً
إن الحياة عقيدة وجهاد[1].

وهكذا يبرز الشعر الفلسطيني مدى تعلق الفلسطيني بوطنه، وتمسكه بأرضه، فرغم عمق الجراح، وشدة النزف، وعظم التضحية، وثقل المعاناة إلا أن الفلسطينيين جميعاً أطفالاً وشيوخاً رجالاً ونساء، شباباً وفتيات وقفوا في وجه المحتل الغاصب وأسمعوه صوتهم، ووصلوا إليه رسالتهم من خلال انتفاضتهم المباركة، إنهم كالطود الشامخ الذي لا تهزه العواصف، وكالجبال الشم التي لا تنال منها الرياح، لأنهم يتسلحون بعقيدة الإسلام، ويؤمنون بقضاء الله وقدره.

---

(1) محمود مفلح، ديوان إنها الصحوة.. إنها الصحوة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1988م، ص111، 112

سابعاً- الشهادة والحالة الوطنية

من الفطرة أن يتعلق قلب الإنسان بمسقط رأسه، وأن يرتبط بالمكان الذي نـشأ فيـه، فوطن الإنسان جزء من كيانه، لأن حبه له متغلغل في أعماقه، ومن هذا المنطلق، فقـد عبـر الشعراء عن عشقهم للوطن، واعتزازهم به، وتمسكهم بالعيش فيه.

يرى الشاعر ماجد الدجاني أن الوطن محفور فـي قلـوب الفلـسطينيين، وأرادوا أن يعبِروا عن عشقهم لهذا الوطن، فنظروا إلى الأعالي حيث النجوم، فعزموا على أن يـسطروا أمجادهم بفدائهم ودمائهم عليها وفاء لهذا الوطن:

صباح الخير يا وطناً تسامى

على الأمجاد أبدع في الفداء

فخط على النجوم سطور مجدٍ

وملء دواته نزف الدماء[1].

ثم يبين في قصيدة له بعنوان (نشيد الوطن) أن غاية الانطلاق إلى المقاومة هو تحرير البلاد، وهذا هدف جميع الفلسطينيين:

منذ انطلقنا والتحرر غاية

وبها اقتحمنا حومة الهيجاء

فاءت فلسطين النضال ظلالها

هي بانة تختال بالأفياء

جسم توحده الهموم إذا اشتكى

عضو تداعى سائر الأعضاء[2].

ثم يشدد على التلاحم ووحدة الصف في قصيدة له بعنوان (عهد ووفاء):

وفي الدروب شراك نحن نعرفها

هيهات توقعنا هيهات نختصم[3].

ويناشد أخوة الآلام والآمال أن يتركوا الخلاف جانباً، حتى لا يضيع أو يفـشل هـذا المشروع الذي تتطلع له جميع الأمم:

يا أخوة الجرح والآمال مرحمة

---

(1) ماجد الدجاني، قمر على شباكنا، قصيدة صباح الخير يا وطن، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القـدس، ط1، 1999م، ص8.

(2) قمر على شباكنا، قصيدة نشيد الوطن ص30.

(3) قمر على شباكنا، قصيدة عهد ووفاء ص46.

فيم الخلاف علام اليوم نصطدم

هذا الوليد الذي نرعاه مهجتنا

ستقتفي في غدٍ آثاره الأمم[1].

فُجِع الوطن بمذبحة (الأحد الأسود) والتي حدثت في عيون قارة داخل الخط الأخضر بتاريخ (20-5-1990)، وراح ضحيتها عدد كبير من الشهداء العمـال، وإلـى أرواحهـم الطاهرة التي سمت محلقة في عالم الخلود كتب الشاعر الدكتور كمال غنيم قـصيدة بعنـوان (أين مواكب الفرسان):

وماذا بعد يا وطناً طواه الموت والنسيان ؟!

وكابد ليله، المأفون والأسوار والقضبان؟!

وماذا بعد يا وطناً تلفلف فجره الأكفان ؟!

ويمضي نازفاً دمه تحطم قلبه الأحزان؟!

وما شعرت به الدنيا وما ضجت له الأكوان![2].

حيث يربط الشاعر هنا بين الوطن والشهادة، فالنزيف مشترك، ومفردات المعاناة بين الأسر والإهمال والموت تتفاعل، في شكل موجٍ ظاهرياً بموات يكتنف الأشياء، حتى الأشـياء الدالة على الفرح والنصر تلفلفها الأكفان، أكفان الشهداء، فالفجر الأبيض يتحول إلـى كفـن كبير، ولولا التساؤل لانسابت المعاني إلى اليأس ولكن التساؤل أوحى بالاسـتنكار والـرفض لتلك المعاناة، وذلك الواقع الحزين، وهو ما قادت إليه القصيدة في نهايتها، عندما استمدت من تلك المواجع العزم على الاستمرار والمواصلة.

ثم يتحدث الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان (لا قبر ولا دار) عن الأرض وما تعشق:

فهـــذي الأرض أشــعار	وأزهـــار وأثمـــار
ونـــبض الأرض إصـــرار	وأحجـــار وثُـــوار
وهـــذي الأرض عاشـــقة	تحيرنـــا وتحتـــار
ويخـــضبها الـــدم الفـــوار	والأحجـــار والثـــار

(1) المرجع السابق ص48.

(2) شروخ في جدار الصمت ص96.

وتعطـي الحـب للأطفـال والأطفـال إعـصار
ويمتزجـون فـي أشـلائها عـشقاً وقـد طـاروا[1]

وفيها إشارة واضحة إلى تشرب الأطفال لحب الأرض وقـواميس الثـورة الـسائرة كالإعصار.

ويرسم الشاعر صالح فروانة صورة حسية للوطن محاولاً تجسيد مفهوم الوطن مـن خلال القلب والروح والمشاعر والفكر:

ابحث في قلبك عن مضغة
تبعث فيك حنين الروح
تتجذر في أعماقك
تجد الوطن معك
تنقلها حين تكون
وحين يصاب الوطن بمكروه
تتحرك فيك
تتحسسها جفونك قبل النوم
وحين تقوم
تداعبها شفتاك
فيسافر قلبك
يرصدها ويعود
ويظل الوطن عزيزاً
كل يملكه كله
فيسقط كل حجاب
وتسقط فيه الأحزاب
ويبقى وطنك
شرفك
وحدة فكر
وحدة إنسان[2] .

---

(1) المرجع السابق ص101.

(2) صالح فروانة، مفردات فلسطينية، قصيدة خصوصية الوطن، ص58،57.

الوطن هو لب الفؤاد، وعمق الأحاسيس، وخلايا الفكر، وكيان الروح، هو كل جميل في الوجود: حياة وإشراق وأمل وعزة، فلا غرو (حين يصاب الوطن بمكروه) نجد الجوارح مجتمعة تتحرك لتذود عن الوطن (ليظل الوطن عزيزاً) و(يبقى وطنك شرفك)، وتتجسد تلك المعاني حين نرى الشهداء من كل الأطياف يدفعون ضريبة عشقهم للوطن فتهون عليهم نفوسهم فيقدمونها رخيصة من أجل إعلاء رايته، فدماؤهم الزكية المعطرة بالمسك والعنبر تنساب كالنسيم المنصهر على أديم الأرض، فتمتزج بذرات التراب المقدس فيصبحان شيئاً واحداً هو الوطن.

ويؤكد الشاعر رفيق أحمد علي على ما أكد عليه الشاعر محمود درويش من ذي قبل، وهو التمسك بالأرض وعدم الرحيل، والصمود والمقاومة:

قال درويش وغنينا معه:

"وطني ليس حقيبة"

"وأنا لست مسافر!"

وأقول: وطني ليس جراباً للبدائل!

وأنا لست براحل

وطني ليس حمائل

وطني سيف على أعناقهم بالموت دائر،

وأنا الفارس لا أرحل لكني أقاتل![1].

الصمود والرباط على أرض الوطن جهاد ومقاومة، لأن الثبات عليها يحفظها من اغتصاب الصهاينة، ومن هنا فقد قرر الشاعر رفيق أحمد علي أنه لن يغادر الوطن (وأنا لست مسافر!) و(أنا لست براحل) لأن وجوده في الوطن (سيف على أعناقهم بالموت دائر)، ثم يؤكد على انضمامه إلى صفوف المجاهدين ليأخذ دوره في الدفاع عن الوطن (وأنا الفارس لا أرحل لكني أقاتل)، وللقتال نتائجه، فإما أن يحقق النصر أو يفضي إلى الاستشهاد الذي عشقه كل المقاتلين.

وقد عزف الشاعر يوسف المحمود سيمفونية الحرية في شعره بثقة كبيرة، حيث روى حيويتها بماء روحه، وربطها ببيئته الجميلة، ففي قصيدة (الشهيد) يقف الشاعر على معادلة

---

(1) رفيق أحمد علي، النقش على الهواء، قصيدة لا أرحل، ص54.

واضحة للوطن، يفصل أركانها، فيرى أن الوطن هو الأرض والناس والبيادر ومواسم الخير والعطاء، وأن الشهيد يتوحد بالوطن ويذوب فيه فيصبحان شيئاً واحداً:

عشق التراب
تداخلت ذراته في روحه
عشق البيادر والسهول/
الأرض كل الأرض
والناس
الحياة[1].

وفي نهاية هذه القصيدة يقر الشاعر بأن نهاية الشهيد ولادة جديدة، وبعث واستنهاض للأحياء:

هو لم يمت
لم يقتلوا فيه الحياة
الآن يصعد مرة أخرى
على فرس الحنين
بيديه يبتهل الفرح
للشمس والفجر الجديد وللحياة [2].

والشهيد في نظر الشاعر يوسف المحمود صامد، صابر، مبتسم أمام طلقات النيران، يبقى متمسكاً بأرضه حتى آخر نفس:

صادته أنياب الرصاصة فابتسم
ما قال آه..
لما تفجر في دمه
شوك الألم
حضن التراب...
وقبل الأرض الحبيبة
ثم غنى للبيادر/
والسهول

(1) زغاريد على بوابة الصباح ص13، 14.

(2) المرجع السابق ص19.

وللروابي

والقمم[1] .

ويغيب جسد الشهيد عن الأنظار، وتبقى روحه تسري في شرايين الأحياء، هو مـات على الثورة، وكفن نفسه بثوب الوطنية، وقبل بتراب الأرض الغالي ليكون غطاءه:

وعيون تتحدث عن هذا المتوهج في القلب

شهيداً وشديداً

ضد الغيلان،

فتياً وقوياً

ضد قراصنة الأرض، لصوص الإنسان

على الدرب، مضى

وعلى الدرب، قضى

بطلاً، مثلاً

لم يخلع ثوب الوطنية

لم يلبس غير تراب الأرض

ولم يشرب

إلا من حفنة كفّيه

وقد روى من ماء الروح جميع الناس

زلالاً وحلالاً

حتى مات على الثورة[2] .

نعم: إنه الوطن الذي علم النفوس عشق الحياة، وغرس في الأرواح نور الأمل، فلولاه ما كان للحياة طعم، ولا فيها لذة، إنه الوطن الذي وحد الأرواح، وأرسـى معـاني التمـاهي والتماسك، ومن أجله تندلع الثورة، وتنتفض الشعوب، ويعم الغضب، ومن هنـا كـان جـدير بالشعراء أن يتغنوا به، وحق للشهداء أن يبذلوا دماءهم رخيصة للدفاع عنه.

---

(1) زغاريد على بوابة الصباح، صورة رقم (1)، ص 72، 73.

(2) سبحانك سبحاني من طينك طوفاني، تحت شريط أسود، ص136، 137.

ثامناً- الشهادة والحالة الدينية

الإنسان المؤمن يدرك الغاية من الوجود، فيحرص على تحقيق هذه الغاية، وهي عبادة الله، والجهاد عبادة، والاستشهاد في سبيل الله عبادة، وهذا سر إقبال كثير من الـشباب علـى العمل الجهادي، فهم يبتغون إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، وكان للشعراء نصيب في ذلك سواء بالقول أو الفعل، أو بالاثنتين معاً كما كان الشاعر عبد الرحيم محمـود وعبـد العزيـز الرنتيسي وإبراهيم المقادمة وغيرهم.

فالشهداء هم المشعل الذي ينير لنا السبيل لحماية أوطاننا من المحتلين، وهـم الفـداء لأنهم يجودون بدمائهم الزكية، وأرواحهم الطاهرة ثمناً لحريتنا وكرامتنا ورفعة شـأننا، وهـم الذين يبعثون في نفوس الأحياء روح التضحية والأمل ليصونوا شرف الأمة، وتراث الـوطن، وأمجاد الأجداد.

في قصيدة بعنوان (لن يتوقف الجريان) يمجد الشاعر ماجـد الـدجاني روح الـشهيد (عثمان البرهم) الذي استشهد في شهر رمضان وهو صائم في مجزرة صهيونية داخل الحرم الإبراهيمي، وقد جمع الشهيد أجوراً متعددة أثناء استشهاده، فهو الصائم القائم المرابط الشهيد:

مجد الشهادة فوق كل بلاغة

وأمام مجدك تنحني الأوزان

طوبى لمن نال الشهادة صائماً

وله سيشهد شافعاً رمضان

روح وريحان وفيض كرامة

نزل الشهيد وأنهر وجنان

عثمان جسدت النضال حقيقة

لا بالكلام... ويشهد الميدان[1].

أما الشاعر الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة ذو العزيمة الصلبة، والإرادة الفولاذيـة، فيستعذب الآلام، ويتعالى على الجراح، إرضاء للخالق، واحتساباً للأجر، ويقيناً بـأن الأمـل سيولد من رحم المعاناة، وإيماناً بأن المستقبل سيبنى من لبنات أنات العذاب يقول:

لا بأس بالكسر.. بالموت

نصنع بالموت فجر الغد

ومن زنزانة في السجن أو وجع المستشفى

---

(1) قمر على شباكنا ص49.

ستولد فرصة العتق

وعبر جراحنا، وقوافل الشهداء في الساحة

ستزهر زهر الحق[1].

إن استعذاب الألم عند المقادمة ليس لذات الألم، وإنما لشيء آخر، للعـزة والكرامـة والعتق والحرية والمستقبل المشرق والحياة الرغيدة، وهذا هو سر التحدي وعـدم الانكـسار مهما كان العذاب.

هذا العذاب الذي مهما طال زمنه ستكون له نهاية كما كانت له بداية، يمزجه المجاهد بالإيمان، فتصفو روحه، فترنوا إلى المعالي حيث الشهادة التي هي أمنية كل المجاهدين فـي سبيل الله، يقول الشهيد الدكتور المقادمة في الشهيد الذي فجر نفسه في أعداء وطنـه ودينـه وأمته:

وتبسم

أشعل النور وسافر

وغدت أشلاؤه لما تناثر

لقوافل الشهدا منائر

قذف النار جحيماً في قلوب لا تلين

ورمى النور ضياء في قلوب العاشقين[2].

إن الشهادة في خطاب الشاعر المقادمة نور وضياء وحياة لمن يعشقون النور والحياة الكريمة ونار وجحيم على المحتلين والطغاة المجرمين، وهي التي تدفع المجاهـد أن يمـزق الأنانية ويطهر نفسه منها، ويلبس تاج الإيثار، فيتجرد من الشهوات الدنيوية، ويعمل من أجل الآخرين، فيضحي ويضحي في سبيل الدين والكرامة، وبذلك يكون قد وصل إلى قمة الإيمـان بامتثاله لأوامر الله.

وفي قصيدة للشاعر خالد سعيد بعنوان (الشيخ الشركسي والفتى الفلـسطيني)، تلمـح الحس الديني الذي يزرع في الإنسان العزة، فلا مجال للانحناء إلا لله:

إن الذين حنوا لذي العرش الجباه

لا ينحنون ولن يلينوا للطغاة[3].

---

(1) إبراهيم المقادمة، ديوان لا تسرقوا الشمس ص23.

(2) المرجع السابق ص52.

(3) حجر وشجر ص37.

ثم يمضي يتحدث عن قصة الشيخ الجليل العابد الثائر، وقد احتوت رمزيـة خاصـة لواقعنا الفلسطيني:

أبصرتُ في قسماته سيما السجود

أبصرتُ في عينيه أثقال السنين

أبصرتُ في الأنف الأشم الثأر والدم والقذائف

أبصرتُ قوقاز المذابح جرحها المحزون راعف

أبصرتُ آيات الصمود ولمعة الثأر الدفين

ثأراً لجرح المسلم المحفور من تطوان حتى قندهار

ثأراً لجرح المسلم المحفور في القوقاز حتى حضرموت[1].

ثم يواصل حديثه عن الجرح العميق الطويل الممتد من الشروق إلى الغروب، ومـن الغروب إلى الشروق:

جرحي طويل يا أخي، جرحي عميق

ومن الشروق إلى الغروب من الغروب إلى الشروق.

يمتد جرحي:

في كل أرض زارها ضوء القمر

في كل أرض نام فيها الليل أو ضحك النهار[2].

أما الفتى الفلسطيني فيستمع إلى هذا العجوز حتى نهاية قصته، فيدرك أن هدف هـذه المذابح القضاء على الإسلام:

أبنَي إنا قد فررنا من مذابح بلشفية

لا ذنب إلا أننا إسلامنا فيه بقية

لكننا سنعود

مفتاح بيتي يا بني معلق حتى نعود

أغضى قليلاً ثم قال: وقصتك!

حدثته أنّي الفلسطيني[3].

وهنا يربط الشاعر مأساة فلسطين بمآسي المسلمين في كـل مكـان، فـالهم واحـد، والمعاناة واحدة، وهذا الصراع يمثل الصراع بين الحق والباطل.

---

(1) المرجع السابق ص39.

(2) المرجع السابق ص40.

(3) المرجع السابق ص42،41.

تاسعاً- ثقافة الاستشهاد

مفهوم الاستشهاد في الثقافة الإسلامية فمفهومه واسع، وأبعاده عميقة، لأنه مرتبط بأسرار الوجود، وحكمة الخالق، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تثبت هذه المعاني كثيرة، ونظراً للأجر العظيم والثواب الجزيل، والشرف الرفيع الذي يناله الشهيد، ينضم كثير من الشباب إلى صفوف المجاهدين عن إيمان وعقيدة وقناعة تامة، ليقاتلوا من أجل رضا الله والفوز بالجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (1).

وروى أحمد والطبراني عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن للشهيد عند ربه سبع خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلية الإيمان، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه)(2) .

يمكن الإشارة هنا إلى قصيدة (رسالة شهيد) التي سبق ذكرها وتتحدث عن معاني الشهادة الواردة في الحديث (3).

وحيث إن الشعب الفلسطيني يغلب عليه طابع التدين، فقد تأثر بثقافة الشهادة التي أقرها الإسلام، فتشربها، وربى شبابه عليها، ومن ثم جسد هذه الثقافة عملاً لا قولاً، ولم تستقر هذه الثقافة في أفئدة وعقول الشباب فحسب، بل رضعها الأطفال حتى أصبحت جزءاً من حياتهم: حديثهم وألعابهم ونشيدهم، بل شاركوا الشباب في المقاومة ومواجهة العدو، فكان منهم الشهداء الكثر، يقول الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة متغنياً بالشهادة:

أنا للجنة أحيا يا إلهي
في سبيل الحق فاقبضني شهيداً
واجعل الأشلاء مني معبراً
للعز والجيل الجديد(4).

---

(1) سورة التوبة: الآية 111.

(2) مسند أحمد: 121/4. ومجمع الزوائد للهيثمي: 293/5، وإسناده صحيح.

(3) انظر في هذا البحث، ص66.

(4) ديوان لا تسرقوا الشمس ص12.

وهنا لا بد من رصد بعض الصور والمشاهد التي تبرز ثقافة الفلسطينيين في طلب الشهادة. إن السير في مواكب الشهداء الكبيرة التي يشارك فيها معظم قطاعات الشعب الفلسطيني وفصائله يجعلنا نسجل علامات التوهج في وجوه المشيعين، وإشارات الغضب التي تهز جوارحهم والتي تعكس الأمل بالنصر القادم من خلال الهتافات الملتهبة والأناشيد الوطنية فتزيد من إيمان المشيعين والمعزين وإصرارهم، لينضموا إلى قافلة الشهداء الأحياء فيصبحوا جزءاً من المشاريع الاستشهادية الجاهزة للتنفيذ حسب الوقت الذي قدره الله.

وتستحوذ على الفلسطينيين أحاديث وقصص ووصايا وأعمال وبطولات الشهداء، ويمتد هذا الأمر إلى اهتمام الصحفيين في كل وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

"ولا شك أن الرأي الإسرائيلي قد وقع في حيرة من أمره عند دراسته لظاهرة إقبال الفلسطينيين على الشهادة بكل الوسائل والطرق المتاحة، فلم يجدوا تحديداً واضحاً لذلك إلا رغبة الفلسطينيين في الدفاع عن دينهم ومقدساتهم دون الالتفات إلى أي من الأغراض الأخرى، بحيث وجدوا كما هو معروف في واقع الحال أن كل الشهداء ينتمون إلى مختلف القطاعات الفلسطينية، وشتى الطبقات الاجتماعية دون تمييز في ذلك بين انتماء سياسي وغيره من الانتماءات"[1].

ومما يعمق ثقافة الاستشهاد في المجتمع الفلسطيني الاحتفاء الكبير بالشهداء والاهتمام بذويهم وإكرامهم وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم، ومما يجسد بشكل عملي هذه الثقافة صور الشهداء التي تمت صياغتها في أبهى رسم إبداعي خطته أيادي الفنانين والرسامين التشكيليين، وقد ملأت شوارع المدن والأحياء والتجمعات السكنية، هذا كله " ساهم بدوره في خلق بيئة ثقافية تعتمد على التفاعل الحسي والعقلي بطريقة معنوية ومادية تتيح المجال لفتح الأبواب على مصراعيها لتغذية موارد الفهم الحضاري الذي أصبحت ثقافة الاستشهاد جزءاً أساسياً في بنائه الواسع العريض"[2].

وقد قام الشعراء بواجبهم تجاه نشر هذه الثقافة، فاحتوت قصائدهم الحث على الجهاد والاستشهاد، وعدم التردد في ذلك، فجاء تحريضهم صادقاً، لأنه نابع من القلب، فالأمل والرجاء لابد لهما من قوة وتضحية تحققهما، يقول الشاعر هارون هاشم رشيد:

لغة الثأر دواء

أنت من أرض سقتها بالدماء الشهداء

---

(1) مجلة رؤية عدد 18 ص 203.

(2) المرجع السابق ص 204.

يا سليل النصر والفتح، ويا نسل الوفاء

سر، تقدم، ثابت الخطو فقد حان الفداء

سر معي، فالوطن الحر تلاقت فيه أصداء النداء

كلهم ساروا أماماً، وأماماً، لا وراء

سر معي في الركب يا صاح فقد لاح الرجاء[1].

يستثير الشاعر هارون هاشم رشيد المتلقي بقوله (لغة الثأر دواء)، ويستنفر الشباب مستخدماً فعل الأمر (سر، تقدم)، والخطاب المباشر (أنت من أرض سقتها بالدماء والشهداء) ثم بأسلوب النداء (يا سليل النصر والفتح، ويا نسل الوفاء)، ثم يطلب منهم مراراً أن يسيروا معه بخطاً ثابتة (فقد حان الفداء)، وأن يسيروا معه في الركب (فقد لاح الرجاء)، وأن يسيروا إلى الأمام لا إلى الوراء.

وتظهر ثقافة الاستشهاد جلية في شعر محمود مفلح، فهو يرى طريق الجهاد طويل وشاقاً، لكنه قدر يجب الصبر عليه، ثم يبين أن الجهاد قد ينتهي بالمجاهد إلى الاستشهاد فينال الشرف العظيم، يقول:

كفكف دموعك فالطريق طويلاً

درب الشهادة قاتل وقتيل

قدر بأن نلقى القذائف عزلاً

ونلوك مر الصبر وهو جميل

ونواجه الطاغوت في أشكاله

فالرأس رأس والذيول ذيول!!

كفكف دموعك فالجراح عزاؤنا

ودم الشهادة في الدجى قنديل

واصعد إلى قمم الصراع فإننا

فوق الرواسي الشامخات نصول[2].

ينظر الشاعر إلى الشهادة نظرة المتعمق في أسرار الوجود، فهي ليست مجرد موت أو انتهاء حياة، بل هي عبادة خالصة وقربى صادقة إلى الله، وهي مصباح ينير ظلمة الغافلين والمتخاذلين (ودم الشهادة في الدجى قنديل)، لذلك فهو يرفض البكاء والدموع والأحزان (كفكف دموعك فالجراح عزاؤنا)، ثم يطلب من الجميع الصعود إلى قمة الصراع لمواجهة الأعداء، فإما نصر وإما شهادة.

---

(1) ديوانه الأعمال الكاملة ص256.

(2) ديون نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1991م، ص103.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية في شعر الشهادة

1- اللغة .
2- المثيرات الأسلوبية.
3- الصورة الفنية.
4- الموسيقى والإيقاع.

أولاً- اللغة

معلوم أن اللغة أداة للتفاهم بين الناس، وأنها تخضع لقانون معياري هو النحو، لكنها في الخطاب الشعري تتجاوز هذا المفهوم إلى "خصوصية في التركيب والتعبير، ترجع إلى طريقة الشاعر في استخدام الألفاظ، وفي إثارة الخيال عند المتلقي بما يقدم من صور تحطم الواقع لتعيد تركيبه من جديد في أشكال تعتمد على علاقات متجددة"[1].

بمعنى آخر، إن اللغة عندما تدخل في صناعة الشعر، فإنها تتخلى عن وظيفتها العادية، إلى وظيفة أكثر سمواً وأرحب أفقاً، وظيفة الجمال التي تكثر فيها الرموز والمعاني، فتتفتح أبواب التأويل أمام المتلقي والناقد على مصراعيها.

يقول الشاعر عبد الرحمن بارود في قصيدته (قيود):

خَلَت كُرة الأرض من أهل بدرٍ

وإن ظل في الناس لون الجلود

مغولٌ ولا (قطز) يا جيوش الـ

مماليك، يا أولياء القرود

لقد سرقوا الشمس من وارثيها

دجى، وحشَوْهم بقش جديد[2]

الشاعر هنا يتحدث عن القضية الفلسطينية، وعن موقف العرب منها بأسلوب فني ساخر، مستنكراً الصمت السلبي لهم، وكأني به يقول لقد ماتت الرجولة والنخوة عندهم فما يربطهم بالعروبة والإسلام سوى الاسم فقط، ثم يعيد عجلة التاريخ إلى الوراء ليربطها بعجلة الواقع، وكأن التاريخ يعيد نفسه، فاليهود كالمغول، لكن الفرق أن المماليك استطاعوا أن يخرجوا من بينهم قائداً وهو قطز، يوحد صفوفهم، ويرد كيد المغول، وينتصر عليهم في عين جالوت، أما العرب اليوم فلم يستطيعوا ذلك حتى الآن، ثم يتحدث عن اليهود الذين احتلوا فلسطين وسرقوها جهاراً كأنهم على أعين الناس يسرقون الشمس الصارخة بالحقيقة والواقع، وذلك دون اعتراض، لأن وارثي الشمس أو فلسطين قد أُفرغوا من مضامين الرجولة، فأصبحوا كالدمى المعبأة بالقش، لا حول لهم ولا قوة، ولا عقل ولا إرادة، فالناس يحملون اسم الإسلام وكأنهم يلبسونه كجلد خارجي، لا علاقة لقلوبهم بمضامين الإسلام التي عرفها رجال

(1) صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني ص 473.

(2) عبد الرحمن بارود، غريب الديار، دار الفرقان للنشر والتوزيع، جدة، 1987م، ص97.

الإسلام في بدر وفي عين جالوت، فالخسائر تترى والشهداء يتساقطون ولا حراك حقيقي لدى الأمة!

والشاعر في هذا النص يضع أمامنا أسئلة كثيرة: لماذا اختلف العرب والمسلمون في هذا الزمان عن أهل بدر؟ ولماذا لم يخرج من العرب قائد يتحمل المسئولية كما تحملها قطز؟

أليست قضية فلسطين واضحة كالشمس؟ إذن فلماذا السكوت عن الظلم؟

إن الشاعر بارود في هذا النص قابل بين أهل بدر أصحاب النخوة وبين أهل هذا الزمان من العرب المتخاذلين، وقابل بين قطز المنتصر وزعماء العرب المهزومين، وقابل بين اليهود القرود وبين القش الجديد.

ويلاحظ أن لغة الشاعر استمدت ألفاظها من التاريخ والواقع، مثل: أهل بدر، مغول، قطز، المماليك، كرة الأرض، الجلود، الشمس، دجى، قش، مما أضفى على النص نوعاً من التفاعل بين الماضي والحاضر نتيجة توظيفه لتقانة المفارقة ذات المعطيات التراثية، فشتان بين واقع رجال بدر وقادة مثل قطز وواقع رجال اليوم الذين أصبحوا قادةً وجنداً كدمى مصنوعة من القش، وكأن استحضار النماذج الإيجابية فيه تحريض على الاقتداء وتنبيه المتخاذلين إلى الإمكانية البشرية في النهوض والعلو.

سمات اللغة في شعر الشهادة:

1- التكرار اللفظي:

ففي قصيدة للشاعر نايف الرجوب يؤبن فيها الشهيد محمد عزيز يقول في مطلعها:

يا نفس جودي بالقريض وجددي

عهد المحبة للشهادة والشهيد

وتفضلي ردي الجميل لأهله

فالفضل يحفظ للشهيد من الطريد

ثم في نهاية القصيدة يكرر ما بدأ به (الشهادة والشهيد) فيقول:

ربي تقبل في الشهادة أحمداً

واغفر إلهي للشهيد مع الطريد[1].

وفي تكرار لفظي الشهادة والشهيد ما فيه من حث وتحريض، وإعلاء فضل وإبراز قيمة، فالشهادة فيها من الفضل والجمال ما يبرر له تكرار لفظها والاستمتاع بهذا التكرار.

---

(1) نايف الرجوب، باقات زهور من مرج الزهور، دون، ط1، 1994م، ص60، 62.

أما الشاعر حسين مهنا فيكرر في قصيدته (ناجي العلي.. إليه شهيداً) بعض الألفـاظ مثل: لا، هل، الشمس، وبعض الجمل مثل: لم تمت أنت، حيث يقول:

قتلوك.. لا

صلبوك.. لا

هل يقتل البحر؟!

هل يصلب النهر؟!

أتُرى أطفأوا جذوة السحر فيك؟ لا

هل تطفأ الشمس،

هل تحرق الشمس.. لا؟!

لم تمت أنت.. لا! لم تمت.. لا !![1]

وأفاد التكرار الإصرار على الموقف، وانسجم ذلك مع الاستفهام الاستنكاري المتكرر، بالإضافة إلى بروز حرف النفي (لا) بكل ما يحمله من معاني الرفض التي تضج بها العقيدة.

ويكرر الشاعر مريد البرغوثي الفعل (أتحدث) فيقول:

ها نحن نطارد ثانية..

أتحدث عن غابة ورد أحمر

أتحدث عن نُذُر الدم[2].

وتكرار الفعل هنا أفاد تكرار المأساة في كل مرحلة، فالمعانـاة الفلـسطينية ودمـاء الشهداء المسفوحة قدر يتكرر ليصبح عادة يمكن أن تتحول إلى حديثٍ يتناوله جميع النـاس، وذلك في تصوير غير مباشر لحجم المأساة.

2- ذكر الأسماء: أسماء الشهداء، وأسماء الأماكن.

فهذا الشاعر خالد سعيد يرثي بوضوح الشهيد محمود مرمش الذي ثأر للطفلة (إيمـان حجو) حيث فَجر نفسه في الصهاينة في مدينة نتانيا:

صـدقاً أخـذت الثـأر يـا محمـود	فتزلزلـتْ ممـا صـنعتَ يهـود
(إيمـان حجـو) تـستريح بروضـةٍ	فرحـت مـلاك واطمـأن شـهيد
بنتانيـا فجــرت نفــسك زارعــاً	رعباً يظل علـى الزمـان يزيـد[3].

(1) حسن مهنا، تمتمات آخر الليل، مؤسسة الثقافة الفلسطينية، عكا، ط1، 1988م، ص85.

(2) مريد البرغوثي، فلسطيني في الشمس، دار العودة، بيروت، 1974م، ص35.

(3) يوسف الكحلوت، مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة، ص 82.

حيث يحضر الشهيد اسماً وضميراً في كثير من جوانب القصيدة، لإبراز حجم الدور الكبير الذي قام به في مرحلة قهر وامتهان وصلت إلى حد الاستهتار الشرس بحياة الأطفال الفلسطينيين.

أما الفتى الشهيد (محمد الدرة) الذي اغتالته الأيدي الصهيونية، وهو في أحضان أبيه أمام كاميرات التصوير، وتناولته الفضائيات، وتحدث عنه العالم كله، وخصص كثير من الشعراء مساحة في أشعارهم لهذا الاغتيال الآثم، يقول الشاعر صالح العمْري في قصيدته (إلى الشهيد الدرة):

محمداً: أي ذنب جئت تحمله   حتى قُتِلْتَ على عين الملايين
يا درةَ المجد قد فَجرت في شرفٍ   شرارة الثَأر في وجه الشياطين

أما سائق الإسعاف (بسام البلبيسي) الذي استشهد وهو يؤدي واجبه الوطني تجاه أبناء شعبه، فقد حاول إنقاذ حياة الطفل محمد الدرة إلا أن اليهود عاجلوه برصاصات أودت بحياته على الفور، فارتقى شهيداً، وقد تحركت مشاعر الشاعر عبد الكريم العسولي لهذه الجريمة النكراء في حق الإنسانية فكتب يقول:

بسام يا ملكاً هوى
نحو الصريخ بلا حذر
قد هزه صوت شجا
خلف الحجر[1]

أما الشاعر هشام غانم فقد قدم (إلى روح الشهيد عماد عقل) قصيدة مطلعها:

خذ ما تشاء ودعْ لنا سنن الجهاد   واكتب وصاياك الكريمة يا عماد
إن الجبان يعيش عبداً للهوى   والحر يفنى في هوى رب العباد[2]

أما (جنين القسام) التي دمرت على رؤوس أهلها، فقد كانت محطة لإثارة الشعراء الذين مجدوا صمودها، وكان الشاعر هشام غانم منهم:

نادت جنين على الملوك فلم تجد   إلا صدى صوت الأرامل والأنين

(1) المرجع السابق، ص274.
(2) مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ص367.

سـمعوا نـداها فـي الكواكـب كلهـا لكن أسماع العروبـة مـن عجـين[1]

وللشاعر موسى أبو جليدان قصيدة بعنوان (لبيك يا جنين) يقول فيها:

بعد انتفاش الموت في جنين
تضخمت بطونهم...!!!
تقرحت جفونهم...!!!
فعاقروا كؤوسهم...!!!
وطأطأوا رؤوسهم
وأعلنوا الحداد حتى حين..!![2].

وهكذا فإن الأعلام المتمثلة في أسماء الشهداء والضحايا والمعالم الجغرافية الموجوعة ظلت حاضرة في أذهان الشعراء ووجدانهم، وكأن وجع الشهادة يكتمل التعبير عنه بذكر هـذه الأسماء في محاولة دءوبة لتكريس تلك الأسماء وتخليدها، وذلك في محاولات فنيـة جماليـة تصبح هذه الأسماء جزءاً لا يتجزأ من مكوناتها وتشكيلاتها.

ولو انتقلنا إلى (رسالة شهيد في الأحد الأسود) للشاعر عاطف أبـو حمـادة لوجـدنا التكرار في الجمل كقوله (لا تعجبي يا أمتي- لا تعجبي يا أمتي) أو التكـرار فـي الألفـاظ (مضيت – نمضي- يمضي ذكر كل منهما مرتين – عهد ذكرهما مرتين – السلاح مرتين – من كل شبر ذكرها مرتين) ، من ذلك قوله:

في يوم عشرين السواد
من شهر أيار الحزين
نمضي نموت إلى الجبين
من كل شبر في البلاد
من كل شبر في الفؤاد
يمضي شهيد[3].

3- التأكيد على معاني الألم والظلم والقهر:

يقول الشاعر رفيق أحمد علي في قصيدة له بعنوان (نار وجليد):

---

(1) المرجع السابق ص 365.

(2) المرجع السابق ص 373.

(3) عاطف أبو حمادة، ديوان أرجوحة الروح، مكتبة دار الأرقم، غزة، 1998م، ص37.

تعود رياح الخريف

وما زال حول شاتيلا وصبرا

جماجم تلمع نوراً ونار

وما زال في ساحة القدس آثار تلك الدماء

ثم يرسم صورة للقهر فيقول:

تعود رياح الخريف

وكم من خريفٍ وريح!

تمر على القهر فينا تنوح

تطوف على مهرجان المنية

تؤجج نار الحمية[1]

ولا شك أن الألم هنا مرتبط بالموت والجراح أو دماء الشهادة، لأن الشهادة على الرغم من قداستها وجمالها في نفوس الناس إلا أنها تشكّل في بروزها كظاهرة ملامح مرحلة منكوبة مفعمة بخسائر الأرواح وبشاعة المجرمين الذين لا حرمة لدماء المسلمين عندهم.

وقد عاش الشاعر الفلسطيني تجربة الأحزان، فعبر عن عمق آلامه، وعنفوان قهره، فهذا الشاعر باسم الهيجاوي يجسد هذه المعاناة فيقول:

أتاني البحر..

قلت: الأرض أغنيتي

ولون دمي

نشيد الجرح

طعم مواجعي..

ألمي

وعنواني الذي طعنوه..

في أعماق خاصرتي[2] .

ويظهر هنا مفهوم مكابرة الجرح الدامي المبصر لعمق الألم والمعاناة والطعنات القاتلة، فالألم والتعبير عنه يرافقه الحرص على التمسك بالمبادئ والثبات على المواقف، والإصرار على الحب والعشق لهذا الوطن.

(1) ديوان الطوفان، دون، غزة، 1993، ص60، 61.

(2) ليالي الدم والسوسن، دون، ط1، 1992م، ص 56، 57.

وهذا الشاعر صالح عمر فروانة يبرز الألم والعذاب الذي يعانيه الفلسطيني:

ورغم جراحنا

قلبي

أهدهده عسى ينسى

خريفاً شاب فيه الليل

من عمري

وزنزانة

تسد عليَ آمالي

تلاحقني بأحلامي

فيلهث صارخاً ألمي

يعذبني

يفر الموت من قلبي

إلى جسدي

فيدرك جثة تصحو

على سوطٍ

بلون دمي(1)

حيث يصبح الألم هنا تراجيديا اللااستقرار إذ ينتقل الجرح من القلب إلى الجسد إلى السوط الدامي، في مفردات العذاب المعبرة عن الوحدة العضوية للألم الفلسطيني الممتد من إلى عمق الزنازين إلى بدايات العمر إلى لحظات الموت والاستشهاد.

وتمارس التراجيديا دورها هنا في اصطناع الأدوار والشخصيات.

4- استخدام التعبيرات الدالة على معاني البطولة والفداء والتضحية:

يصف الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدته (طفل كحد السيف) الطفل الفلسطيني الذي قاوم المحتل بصدره العاري، وحجره المدبب، حيث لبس ثوب الرجولة مبكراً ليأخذ نصيبه من البطولة، وحظه من الفداء:

بين الحواجز والموانع

يقف.. المقاتل والمدافع

طفلٌ كحد السيف يبرق

---

(1) مفردات فلسطينية، انتفاضة الأقصى، ج1ص63.

لامعاً في الشمس ساطع

يخطو فينشر روعه

عند الأزقة والشوارع

ينساب من ليل المخيم

من تباريح المواجع

يمضي كما السهم المسدد

نحو غايته.. يسارع

يمضي فلا يخشى الرصاص

لا يخاف من المدافع

ويظل بالحجر المدبب

يقذف الباغي يقارع[1]

ولم يكتف الشاعر هارون رشيد برسم صورة الطفل الفلسطيني كما هي، ولو فعل ذلك لكفى، لكنه حمله أمانة القتال والدفاع عن الأمة، وهذه رسالة بعث بها الشاعر لكل القـادرين على القتال لكنهم تقاعسوا أو اثاقلوا إلى الأرض، ولم يذودوا عن شرف الأمة، ولم يدافعوا عن كرامتها.

لقد حول الشاعر الطفولة في فلسطين من براءة ممزوجة بأطياف العواطف، وألـوان الحنان-بفعل الواقع الأليم الذي فرضه العدو الصهيوني- إلى قوة فولاذية صلبة تقبل التحـدي وتتعالى على الانكسار، فالطفولة -كما يراها الشاعر– (حد سيفٍ لامع يبرق) لا يعـرف إلا لغة القطع والبتر.

إن الطفولة في فلسطين خرجت عن المألوف، فهي متمـردة مـشاغبة، فقـد غـزت الرجولة المبكرة نفوس أطفال فلسطين، فحولتهم إلى مقاومين ينشرون الرعـب فـي قلـوب الأعداء خاصة في شوارع المخيم وأزقته (يخطو فينشر روعه عند الأزقة والـشوارع)، وإذا كان للطفولة خصوصية من حيث الاهتمام والرعاية والدلال واللعب وتنمية المهارات إلا أنهـا في فلسطين شيء آخر، فهي تدخل في دائرة المسؤولية، ودائرة البطولة والـشجاعة والفـداء والتمرد والمواجهة، فالطفولة (سهم مسدد نحو غايته يسارع لا يخشى الرصاص)، لأن مهمتها المستمرة المقاومة ثم المقاومة، وذلك يبرز حجم الإحساس بفداحة الخسارة وبـشاعة الألـم، ويؤكد على أن معاني الشهادة تنمو في نفوس الأطفال بفطرية تنسجم مع قاعـدة الفعـل ورد الفعل، وتنسجم مع قواعد الإيمان بالله.

---

(1) ثورة الحجارة، ص21.

ويقدم الشاعر حسين مهنا نموذجاً للاقتناع بالتضحية، ويصور الأم التي تـدفع ابنهـا للشهادة، ليلتحق بأخيه وأبيه، يقول:

أفرغ رصاصك يا ثقيل الخُف

هذا الصدر كالإسفنج يمتص الرصاص!

وتصيح أم لم تزل في حزنها الثوري

يا ولدي تقدم

هذي الحياة بخيلة والموت أكرم

مت كالرجال فلست أفضل من أخيك

ومن أخيك ومن أخيك

ومن أبيك!!

الأرض مادت ثم نادت أهلها

فاهرع إليها راضياً كي ترتضيك(1).

وتبلغ التضحية ذروتها، والبطولة مداها، والفداء قمته حين تدفع الأم ابنها لينضم إلى قافلة الشهداء، (وتصيح أم لم تزل في حزنها الثوري.. يا ولدي تقـدم) وهـذا لـيس غريباً من المرأة في فلسطين، فخنساء فلسطين (أم محمد فرحات) ودعت ابنها محمـد الفدائي المقدام قبل أن يقوم باقتحام المستوطنة وهي على يقين أنها ستفقده ولن تـراه بعد ذلك حياً، ولم تكتف بهذا بل قدمت فلذات كبدها نضال ورواد، وكـذلك فعلـت أم الشهداء (أم محمد الشيخ خليل).

إن الشاعر حسين مهنا – كفلسطيني- يعي تماما الثقافة السائدة في عقـول معظـم الفلسطينيين، ويستشعر اليقين المتجدد فـي قلـوبهم، (فـصدورهم إسـفنج يمـتص الرصاص)، فهم لا يعرفون الخوف أو الوجل، وحزن الأمهات عندهم حـزن ثـوري يستنهض الهمم، فالأم الفلسطينية تطلب من ولدها بشكل مباشر وبوضـوح أن يتقـدم ليواجه العدو، وأن يموت موت الرجال، (مت كالرجال) ويهرع ليدافع عـن الأرض كي ترضى عنه الأرض، فهي تريد لابنها أن يكتب اسمه في سجل الخالدين بجانـب اسم أبيه وأخوته الذين سبقوه بالشهادة، وفلسفتها في ذلك: الحياة بخيلة والموت أكرم،

(1) حسين مهنا، قابضون على الجمر، ص35.

وهذا شعار الأبطال والفدائيين (أهرع إليها راضياً كي ترتضيك)، ويتماهى الشاعر بذلك مع منطلقات شعبه وواقعه.

ولم يجد الفلسطيني أمامه من بديل سوى التضحية، ليواجه آلة البطش الصهيونية الجهنمية التي تنسف البيوت، وتقتلع الأشجار، وتطارد وتسجن وتقتل، ليس أمامه سوى الجلد والصبر والتحلي بالثبات ورباطة الجأش، إنه مؤمن بأن ثمار الصمود والمواجهة لن تكلف أكثر من الدم، وإنه معتقد اعتقاداً جازماً بأن الحياة لا تتحقق إلا بالموت، يقول الشاعر المتوكل طه:

لا بد من الصرخة حتى نكسر الصمت
ولا بد من الموت لنحيا
فإذا كانت فتاة
خضبيها بدم الجرحى ليوم العرس
أو كان فتى فلتزفيه إلى عرس الشباب
واجعلي أثوابه من راية الشعب،
احمليه بين كفيك لمتراس عنيد
قومي وأسمعيه أغنيات النار
قومي عمديه لجلال الثأر(1)

إنه الموت المفعم بطعم الألم ومزيج السعادة، لأن الموت هنا بوابة الحياة تماماً كالعرس الذي يتمخض عنه الميلاد، وتلك هي البطولة الحقيقية، فألم الميلاد لا يمنع من الحرص على بعث الحياة، وألم الموت والشهادة عند الشهيد ومن يحب لا يمنع البطولة والفداء، وكلاهما ألم يبعث على الفرح لأنه متعلق بانبثاق الحياة، فإن كان الميلاد ميلاد طفل فإن الشهادة ميلاد شعب وحرية وكرامة.

5- الرموز والإيحاء:

كرس الشاعر الفلسطيني في شعره القيم الرمزية، والدلالات والإيحاءات لإبراز كفاحه ونضاله، وإنسانية ثورته، ورفض الظلم والقهر والاستبداد، ووقف إلى جانب

---

(1) المتوكل طه، فضاء الأغنيات، دار النورس الفلسطينية للصحافة والنشر والتوزيع، القدس، 1989م، ص44، 45.

الحق والعدل والحرية، واعتمد في ذلك على عقيدة الإسلام السمحة، وعلى التـراث العربـي العريق وعلى الثقافات الأخرى القديمة والحديثة.

"على هذا النحو تحول الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر إلى رمز إنساني شامل، وقيمة عالمية مطلقة، مما يعني أن هذا الشعر لم يقف عند الحدود القوميـة العربيـة، وإنمـا تجاوزها إلى أفق رحيب، يمجد الشهيد أياً كان جنسه ولونه وقوميته"[(1)].

ولقد وظف الشاعر الفلسطيني ما حدث مع السيد المسيح عيسى عليه السلام من سجن وتعذيب، ومشي في طريق الآلام (الجلجلة)، ووضع إكليل الشوك على رأسـه وهـو يحمـل صليبه الخشبي الثقيل، ثم عملية الصلب للدلالة على ما أصاب الشعب الفلسطيني من تعـذيب وتشريد وإهانة وظلم، فالشاعر الفلسطيني مدرك أن الفاعل في الحالتين واحد هو اليهود.*

وقد أبدعت الشاعرة مي صائغ حين مزجت بين آلام الفلسطيني وآلام السيد المـسيح عليه السلام في ديوانها الأول (إكليل الشوك) تقول:

" فالصبح ينبت من دم الأطفال أطفالاً، صدورهم تروس
قلب أعينهم زجاج
وعلى أكفهم يموت الأمس، محروق اليدين
عشرون عاماً، وحملتُ في المنفى، وفي العتمات، أخشاب الصليب البالية..."[(2)].

ومما يدل على التعدد الرمزي للمعنى، أن يكون الـصليب رمـزاً لآلام الفلـسطيني وهمومه وأحزانه، أو أن يكون رمزاً للبلاد السليبة المغتصبة.

ولا حدود لدلالات المجاز، فالشيء الواحد لا تتطابق دلالته عند شـاعرين، فلابـد أن نجد فرقاً ولو كان بسيطاً بين هذه الدلالات.

فهذا الشاعر صخر حبش يخاطب زرقاء اليمامة -وهي رمز للشعب الفلسطيني الـذي اكتوى بنار المحتلين، أو هي رمز للنخبة المدركة أبعاد القضية، والتـي تتحمـل مـسئوليتها اتجاهها، حيث تبذل كل جهد مستطاع لإيجاد حل لها- مؤكداً أن حقيقة الأشياء ليست كما تبدو

---

(1) صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر ص439.

* يؤكد القرآن الكريم على أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ولكنهم قتلوا وصلبوا مـن ألقـي عليه شبهه. (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم..) النساء، آية 157.

(2) مي صائغ، إكليل الشوك، دار الطليعة، بيروت، 1969م. ص91.

للناظرين، فابتسامة جرح المقاتل – مثلاً- أكبر من عالم الانتظار على صغر حجم الأولى، وسعة حجم الثاني، وهكذا يقول:

قالت لي الشمس: زرقاء، لا تغرقي في حساب المسافات
هذا الظلام انعكاس الضياء
وعيناك ليس مهماً إذا رأتنا..
إن سهماً يقول الحقيقة
أكثر من ألف عين وعين
وإن ابتسامة جرح المقاتل
أكبر من عالم الانتظار(1).

فالشاعر في هذا النص لم يرد تصوير الجراح النازفة دماً والمثيرة للخوف والفزع، وإنما أراد أن يدلل على البسمة والغبطة التي انتقلت إلى الجرح.

6- استخدام الألفاظ الدالة على الشهادة كالجراح والنزف وتمزق الجسد:

لقد رسم الشاعر الفلسطيني لدماء الشهداء صورة بهية، أعطت لهذا الدم الزكي مكانته التي يستحقها، ولحظة الاستشهاد جلالها وجمالها، والتضحية سموها وعظمتها.

فقد عبرت الشاعرة سلافة الحجاوي عن حزنها الشديد للحادثة الأليمة التي وقعت للطفل (محمود) الذي داسته دبابة صهيونية، فاغتالت طفولته، فأظلمت الدنيا في عينيها، وهي لا ترى إلا جبهته رمز الإباء والكبرياء، وقد مزجت ببراعة بين خضرة العينين وخضرة الزيتون المتأصل في جبال فلسطين، تقول:

أكاد أصيح.. يا محمود.. أين عيونك الخضراء
وأين الضوء في جبلٍ من الزيتون
أين الضوء في الصحراء
فألمح في ظلام الليل وجنته وأهدابه
بقايا جبهة سمراء عالقة بدبابة(2).

لقد رسمت الشاعرة سلافة صورتين للشهيد (محمود): صورة قبل أن تدوسه الدبابة، حيث كان ذا طلعة بهية وجمال أخّاذ، فعيونه خضراء، ووجه وضيء، فقد كان تحديه لجنود

(1) دليله،دار الدعوة، بيروت، 1978م، ص166.
(2) أغنيات فلسطينية، دار الحرية، بغداد، 1988م. ص35.

الاحتلال منقطع النظير، فهو لم يهرب خوفاً من الرصاص رغم قربه الشديد من الدبابة، التي يحتمي بها الصهاينة، فشجاعته دفعته لأن يكون أمام الدبابة وجهاً لوجه، وهو يدرك أنه ربما ينال الشهادة في أية لحظة، والصورة الثانية لمحمود بعد أن داسته الدبابة التي مزقت جسده، وقطعته إرباً إرباً فتحول إلى أشلاء ودماء: وجنته وأهدابه وبقايا جبهته السمراء المتبعثرة والتي علقت بالدبابة التي داسته، وهذا دليل على وحشية العدو الصهيوني الذي تجرد من الإنسانية، فهو لم يرحم طفولة محمود البريئة.

ويتحدث الشاعر مصطفى الأغا عن أم نسف بيتها على رأسها فتحول جسدها إلى أشلاء، وكان بجانبها طفلها الرضيع الذي أفاق من شدة الجوع فأخذ يبحث عن ثدي أمه، يقول:

" لم تُجْدِ، يا جدي الحبيب تعاويذ المساء

اليوم لا يوم التمائم. إنه يوم الجرائم والضحايا الأبرياء

أواه لو تسمع معي، أنّات طفل لم يزل، غض اليدين.

طفلي يفتش بين أشلاء البناء

عن ثدي أم قُطعتْ تحت الظلام ولم يزل

صوت استغاثتها يدوي في العراء.

ثم يواصل الشاعر وصف هذه الجريمة النكراء، فلم يكتف القتلة بنسف البيت، وقتل الأم وتمزيقها إلى أشلاء، بل امتدت الجريمة إلى الطفل الرضيع فأجهزوا عليه وأردوه قتيلاً:

طفلي يفتش في سكون

طفلي يفتش والمنون

يمشي إليه. ويصرخون: لا تتركوا أزهار صبار الغريب بأرضنا

ويصيح نذل: مزقوا هذا اللقيط!!

وقطّعوا منه الحناجر والمعالم واليدا

وتناثر الجسد الصغير كحبات الندى"[1].

والأشلاء هنا حاضرة في عالم الشهادة بقوة، حيث نرى أشلاء البيت وأشلاء الأم وتناثر جسد الطفل، وهي مفردات إنسانية بريئة في مقابل حقد غريب (لا تتركوا أزهار صبار الغريب) فالشهادة لا يبقى بعدها حجر ولا شجر ولا بشر... لكنها على الرغم من ذلك وإن لم توح بما بعدها تفتح أفق الحياة بألم، لأن النثار مثل حبات الندى التي توحي بالنضارة والحيوية وتشي بالبعث من جديد.

(1) اعترافات،دار الطيف، القاهرة، 1997م، نفسه ص53.

أما دماء الشهادة، فلا تكاد قصيدة تتناول موضوع الشهادة تخلو منها، حتى أصبح لها صور متعددةٌ، "فصارت حناء وخضاباً، وصارت زهوراً وورودا، ومشت أنهـاراً وجـداول، وحلقت نوارس وطيوراً، وأسس لها الشعراء طقوساً مقدسة، فصارت وضوءاً للشهيد، وزمزماً جديداً لفلسطين غير زمزم مكة، وتعانقت فيها الأرض بزعترها مع السماء بكوثرها"[1].

ويستخدم الشاعر أنور عبد السلام لفظة كأس الجرح حيث يصنع الدم فيقول:

إن الـدماء بكـأس الجـرح مـصنعها   على ثرى بلـدي عهـداً ستنـسكِب[2]

فالدماء التي تتدفق من الجرح علامة من علامات الشهادة، أو هي مقدمة لها، فالجرح مصنع النزف والدماء، والشهادة لا تكون إلا باختراق الجسد برصاصات تفتح جرحاً فينـساب الدم بلونه الأحمر الرقراق، أو إصابة الجسد بشكل مباشر بصاروخ أو قذيفة أو قنبلة فتحولـه إلى أشلاء ممزقة مبعثرة، ومن هنا كان الدم هو القربان، وكان دعاء المجاهدين: (اللهم خـذ من دمائنا حتى ترضى) أي ارزقنا شرف الشهادة لننال رضاك.

فالأبطال هم الذين يصنعون التاريخ، وصناعة التاريخ لا تكون إلا بدفع الثمن الغالي، وليس هناك أغلى من أن يقدم هؤلاء الأبطال أرواحهم ودماءهم فداء لدينهم، وتضحية من أجل الدفاع عن أوطانهم، ومن ثم فهم يحفرون أسماءهم في سجل التـاريخ بأفعـالهم، ويخلـدون ذكراهم بدمائهم الزكية التي بذلوها عن طيب نفس، وقناعة أن طريق ذات الشوكة هي السبيل الذي يحقق الغايات.

ويرى الشاعر خضر أبو جحجوح أن الدم المسفوح لا يذهب هدراً، بـل إن لـه دوراً بارزاً في الانتفاضة، فهو يصيب الأعداء والمتآمرين باللعنة، ويعطي الأجيال اللاحقة دروسـاً في الجهاد، ويحفزهم لمواصلة المقاومة، فالدم في النهاية هو المنتصر، يقول:

اسحب دمك من سكيني
فدماؤك تؤذيني
وستسمح أنيابي الوحشية بعد
لوجودك أن يسحب أشلاءه
منها ما أمكنني الوجد
وسأعطي الغزلان المذبوحة أن تعدو

---

(1) صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني ص483.

(2) يا دار.. يا دار، الاتحاد العام لطلبة فلسطين، بغداد، 1970م، ص16.

كي يشعلها النزف

ويموت بها العنف [1].

ثم يمضي الشاعر في قصيدته (دم مسفوح) ليصور اعتراف الأعداء والخونة بقوة الدم المسفوح الذي دمر كل المؤامرات، وفجر كل الوسائل الخسيسة التي استخدمت ضده، فكـأن تدفق الدم زاد قوته، وكأنه تيار جارف أو (تسونامي) يدك حصونهم، ويقتلع قلاعهم يقول:

وستسمح طياراتي لدمائك أن تستنشق كي تتدفق

فترفق... سكيني قد تتمزق

وعيون رفاقي قد تترقرق

مما يؤذيني....[2]

ويرى الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) أن التاريخ يكتب، والذكريات تخلد بماء الشهداء:

" شهداء يخلدون ثراهم بالدم الحر تكتب الصفحات"[3].

ثانياً- المثيرات الأسلوبية

ما من قصيدة تحمل ألفاظاً مبتذلة، أو أسلوباً شاذاً، إلا وكان لذلك تأثيره السلبي علـى جودتها، وقد يدل ذلك على "روح الاضمحلال والتخاف الفكري، والمحاكاة البليدة، والجـري وراء القافية... والتي ألح البعض في طلبها، وأجهد نفسه في تطويل قصيدته لإثبات مقدرتـه على النظم، وقد غاب عن بصيرته أن بيتاً قد يفوق مائة بيت في معناه ومبناه، ومقطوعة تعلق

(1) أعط العصفورة سنبلة الحب وواصل، دم مسفوح، مكتبة اليازجي، غزة، ط1، 2007م، ص 38، 39.

(2) المرجع السابق ص39.

(3) ديوان أبي سلمى، دار العودة، ط1، 1978، ص328.

بالنفس أفضل من مطولة جاوزت المئات من الأبيات، ولكنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء"[1].

وبالمقابل فقد يحمل التعبير الشعبي- داخل القصيدة- إيحاء بالأمل، أو قد يهدف إلى تثبيت الجذور العربية الفلسطينية، "فاستعمال الألفاظ الدارجة ليس هبوطاً بالمستوى التعبيري إذا حسن استخدامه، وإنما يضيف جانباً جمالياً اجتماعياً لفن القول وسلاح الكلمة. ولا تغفل أن كثيراً من الشعراء استخدموا الألفاظ الدارجة إيماناً بالواقعية في أشعارهم، كما في قصائد توفيق زياد، والقاسم، وعبد اللطيف عقل، وليلى علوش وغيرهم"[2].

ولتناول المثيرات الأسلوبية، يمكننا التوقف عند بعض الأبيات الشعرية من بعض القصائد، ناقدين بموضوعية المثيرات الأسلوبية في الشعر الفلسطيني الذي تناول موضوع الشهادة، ونقدنا ليس فيه تقليل من قيمة هذه الأشعار أو المساس بأصحابها، وإنما على سبيل الدراسة لها.

يقول الشاعر أحمد الريفي في قصيدته (الشهيد):

وداعاً أيها البطل الشهيد   وصبراً أيها الجرح الجديد
لقد نالت الشهادة وهي أسمى   وأعظم ما يفوز به الشهيد
مضيت وما سلاحك غير عزمٍ   وإصرارٍ يلين له الحديد[3]

نلاحظ أن الشاعر الريفي بدأ بالمفعول المطلق (وداعاً) في صدر البيت الأول، ثم تبعه بالنداء (أيها) البطل الشهيد، وكرر ذلك في عجز نفس البيت، نفسه. فبدأ بالمفعول المطلق (صبراً) ثم تبعه بالنداء أيضاً (أيها الجرح)

وكرر في البيت الثاني استخدام اسم التفضيل (أسمى وأعظم) وفي البيت الثالث كرر استخدام المصدر (عزم وإصرار)

ثم يمضي الريفي في قصيدته مخاطباً الشهيد:

ستبقى بيننا علماً ورمزاً   تنكس من مهابته بنود
فكم لك في الكمائن من ليالٍ   يشيب لها من الفزع الوليد

---

(1) محمد شحادة عليان، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر، عمان، ط1، 1987م، ص295.

(2) المرجع السابق ص305.

(3) يوسف الكحلوت، مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ص56.

وكـــم طـــوردت مـــن والدٍ لـــوالدٍ   وكيــف ينــام فــي الليــل الطريــد

ونلاحظ أن الشاعر قد اقتبس المعنى في البيت الثاني من القرآن الكريم، فقول الشاعر (يشيب لها من الفزع الوليد) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (1).

وهذا يدل على تأثر الشاعر بالأسلوب القرآني الذي يعطيه آفاقاً وعمقاً للمعاني التـي تفيض بها أبياته.

ويبرز التكرار أكثر من مرة في البيت الثالث (طوردْتَ- الطريد) و (والدٍ لوالدٍ).

أما الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان فقد شبهت الشهيد بطائر أصيب في مقدمة الـرأس، وهذا يعنى أنه قاوم الاحتلال، مقبلاً غير مدبر، ثم بينت أن الجذور العربية ضاربة في أرض فلسطين، تقول:

هوت الشجرة
عفو جداولنا الحمراء
عفو جذور مرتوية
بنبيذٍ سفحته الأشلاء
عفو جذور عربية
توغل كصخور الأعماق
وتمد بعيداً في الأعماق(2).

عاطفة الشاعرة المشوبة بالألم والآهات حزناً على الدم المنهمر من الشهداء على مر الأحقاب في تاريخ فلسطين جعلتها تكرر بعض الألفاظ أو الجمل(عفو جداولنا الحمراء، عفو جذور مرتوية، عفو جذور عربية) ثم تكرار كلمة (الأعماق)، ونلاحظ أنها استخدمت (صخور الأعماق) وأرادت (أعماق الصخور).

ومن الشعراء الفلسطينيين من استخدموا ألفاظاً وتعبيرات مبتذلة تحمل النقد الـلاذع، يقول الشاعر هشام غانم في قصيدته (المجد):

مـــا قيمـــة الـــدنيا بـــدون كرامـــة   النـــاس فيهـــا كالعبيـــد تنابـــل
هـــل يرضـــى العظمـــاء عيـــشة ميـــت   أبداً وهل يرضـــى المهانـــة عاقـــل(1)

(1) سورة المزمل: الآية 17.
(2) فدوى طوقان، الأعمال الكاملة ص

استخدم الشاعر لفظة (تنابل) وهي معروفة ودارجة عند الفلسطينيين (تنابلة السلطان) وهم أناس سلبيون لا رأي لهم ولا قيمة، وتعتبر سباً لمن يوصف بها.

ومن الألفاظ المعبرة التي استخدمها هارون رشيد في قصيدة (صوت لاجئ) لفظ (نتن) يصور قسوة الظالم والعسف الذي يمارسه ضد أبناء فلسطين، الذين شردوا من ديارهم، يقول:

أخي من نحن إن سرنا على الدنيا بلا وطن
وإن عشنا على صدقات قاتلنا على المنن
وإن جار على الأقداس عسف الظالم النتن
وإن لم ننتفض للثأر رغم البؤس والمحن[2].

وتبدو الألفاظ الشعبية الفلسطينية واضحة في شعر مؤيد عثمان البحش الذي رثى فيـه القائد الشهيد (أبو علي إياد) الذي استشهد أواخر شهر يوليو من عـام 1971 فـي أحـراش عجلون شرقي نهر الأردن، يقول:

" كان طفلاً عبقرياً مثل تاريخ بلادي
هادئاً حيناً، وحيناً عصبياً
آه ما أحلاه لما كان يبدو عصبياً
وتناديني عصاه
(يا غضيب! تشيف إنتْ؟)
آه ما أروعها من لهجة
(يما كولي تشيف أصف زين الرجال.. تشيف يما؟!)[3].

لقد اختار الشاعر جملة كان يرددها الشهيد (أبو علـي إيـاد) باللهجـة الفلـسطينية (غضيب! تشيف إنتْ؟) أي كيف حالك أيها المغضوب أي الشقي، يقولها على سـبيل المحبـة والمزاح، ثم يقول: (يما كولي تشيف أصف زين الرجال.. تشيف يما) أي قولي يا أمي كيـف أصف زين الرجال؟.

---

(1) يوسف الكحلوت، مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة ص366.

(2) هارون هاشم رشيد، ديوان عودة الغربـاء، منـشورات المكتـب التجـاري، بيـروت، ط1، 1956م، ص80-81.

(3) مؤيد عثمان البحش، الخيول تموت في ميادينها، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، 1974م، ص96.

وتعتبر هذه التعبيرات بهذه اللهجة نوع من الأهازيج الشعبية التي تقال في الأفراح (المهاهاة) وهي لون من المدح.

ومن الألفاظ كثيرة الاستخدام في الشعر الفلسطيني (الزعتر)، وهو رمز للصمود والرضا بأقل مقومات الحياة من أجل الحرية والزعتر يزرع في فلسطين بكثرة ويستخدم كمأكل ومشرب، فيغمس مع خبز الكعك (الفينو)، أو يغلى وهو نبات أخضر للشرب كالشاي، ولشهرته وشعبيته عند الفلسطينيين يعتبره الساسة الفلسطينيون جراء سياسة التجويع والحصار، فالشاعر صخر حبش يعطي الزعتر قدسية الكوثر بعد أن صار مطراً عربياً:

لقد أمطر الوطن العربي صموداً وزعتر
من الجوع أستل للوعد خنجر
ويكبر جرحي، فيمطر زعتر[1]

ويجعل الشاعر مريد البرغوثي من نبات الزعتر فراشاً للفلسطيني ليدلل على صموده وثباته في الأرض مهما حدث:

ينام الناس فوق حطام (عين الديرْ)
وفوق الزعتر البري والموال[2]

أما الشاعر محمد القيسي فيجعل من الزعتر والدم باقة للعشاء الأخير في إشارة إلى عشاء المسيح الأخير قبل الشهادة:

زعتر ودم، باقة للعشاء الأخير[3]

ويصف الشاعر عز الدين المناصرة الزعتر بصفات ومعانٍ جميلة: إذ يراه مرة مفتاح الثورة وأخرى يراه العنقاء، أو قد يراه مقاتلاً وقد يجعله آية في الصمود والبقاء في الأرض حتى لو هاجر أهل الأرض:

" ما هجرتْ أقوام نبعاً أو برجاً إلا أرجعها الزعتر للبيضاء
الزعتر مفتاح الثورة، الزعتر من بين رماد الصمت يقوم
الزعتر رغم الفاشست ورغم الليل يدوم[1]".

---

(1) دليلة، دار الدعوة، بيروت، 1978م، ص138-140.

(2) فلسطيني في الشمس، ص40.

(3) إناء لأزهار سارا، ص60.

وقد تأثر الشاعر رفيق أحمد علي بالقرآن الكريم فاقتبس من ألفاظه ومعانيـه، ففـي قصيدته (المجزرة) يصور مجزرة ساحة الأقصى وما نتج عنها من سقوط أعداد كبيـرة مـن الشهداء، ثم يخاطب العرب عله يجد عندهم النخوة، ليأخذوا دورهم في الدفاع عـن الأقـصى يقول:

وإنني أدعو لكم أن تسلموا
من شر نفاث اللهب
وغاسق إذا وقب!
وحاسدٍ إذا حسد[2].

نلاحظ أن الأسطر الشعرية السابقة تضمنت آيات سورة الفلق ﴿ . . . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [3].

وفي قصيدة (عرس على الطريقة الفلسطينية) للشاعر أحمد دحبور نلاحظ أن الشاعر ضمن شعره ألفاظاً من الآية القرآنية ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [4]، ووظفها الشاعر هنا من باب المفارقـة، لأن حال العرب المتقاعسين لا يدعو إلى الحسد ولا خوف فيه من نفاثـات ولا حـساد،وذكر المعوذات هنا يذكر بهذا الحال المخالف لحال الرجولة والبسالة المستدعي للاسـتعاذة، ومـن خلال تلك المفارقة تنبع روح السخرية في كلام الشاعر.

يقول الشاعر أحمد دحبور:

العالم أسرة أيتام تتضور
وفلسطين في هذا العالم
جنّات تجري تحت حجارتها الأنعام[5].

لقد رفع الشاعر أحمد دحبور من شأن فلسطين، وجعل لها مكانة خاصة في هذا العالم، فشبهها بجنات النعيم التي يخلد فيها المؤمنون، لكنه سرعان ما نقلنا إلى واقع آخـر مختلـف،

---

(1) لن يفهمني أحد غير الزيتون، شروق، القدس، 1977م، ص42.

(2) رفيق أحمد علي، (الطوفان)، ص64.

(3) سورة الفلق: الآيات 3-5.

(4) سورة البينة: الآية 8.

(5) أحمد دحبور، حكاية الولد الفلسطيني، ص111.

وهو أن هذه الجنات تجري تحت حجارتها الأنعام وليست الأنهار، ويشبه الشاعر اليهود هنـا بالأنعام حيث يواجههم أطفال فلسطين بالحجارة.

وتشبيه الشاعر فلسطين بالجنة لا غضاضة فيه، لكن الغضاضة تبـرز حـين يقلـل الشاعر من قيمة هذه الجنة حيث جعل فيها الحجارة التي تقذف على الأعداء لإرجـاع حـق مسلوب، أي فيها صراع وقتال، وكذلك جعل لليهود نصيباً في هذه الجنة، وفي هـذا مخالفـة لشرعنا الحكيم.

وإذا كانت الحكمة ضالة المؤمن في دنياه، تفيده في حياته، فإنها فـي الـشعر زينـة للعقل، وطرب للمشاعر، ومتعة للنفس، فليس كل شاعر قادراً على إحضار الحكمة بقوة فـي سياق شعره، أو وضعها في مكانها المناسب، فللحكمة في الشعر دور تؤديه، فهي التي تثـري المعنى، وتجعل الأسلوب أكثر عذوبة، وبظلالها الوارفة يتعمق المتلقي في تجارب الحياة.

وإذا كان الشاعر عبد الرحيم محمود قد سبق أقرانه من الشعراء إلى الـشهادة قـولاً وعملاً، إذ استشهد في معركة عام 1948 قبل عشرين عاماً من النكسة؛ فإنه قد وضع الحكمة لهذا النوع من الشعر، عندما قال في قصيدته (الشهيد):

فإمـــا حيـــاةٌ تـــسر الـــصديق وإمـــا ممـــاتٌ يغـــيظ العـــدى[1]

ومن الحكمة في شعر الشهادة قول الشاعر محمود دسوقي:

اجهر بـصوتك لا تخـف وابـذل دمـاً إن الـدماء رواء كـل تحـرر[2]

وتذهب الشاعرة فدوى طوقان إلى المعنى نفسه بحكمة أخرى:

والأمـــل الظـــامئ مهمـــا ذوى لـــسوف يـــروى بلهيـــب ودم[3]

أما الشاعرة مي صائغ فكانت أكثر وضوحاً:

لن يمسح الدماء من جباهنا سوى الدماء[4].

---

(1) ديوان عبد الرحيم محمود، ص122.

(2) صوت الانتفاضة، دار الفكر الجديد للطباعة والنشر، القاهرة 1991 ص3.

(3) ديوان فدوى طوقان ص138.

(4) مي صائغ، إكليل الشوك، قصيدة بصراحة الثأر، دار الطليعة، بيروت، 1969م، ص176.

ونجد الشاعر ماجد الدجاني يسوق الحكمة بمعنى آخر، ورؤية جديدة، يقول:

لا تحسبوا الشهداء أمواتاً قضوا   إن الشهادة لحظة الميلاد[1].

فالشهادة إعلان ميلاد لحياة أخرى، حياة سرمدية أبدية لا نهاية لها، كلها سعادة ومتعة وراحة تختلف عن الحياة الدنيا الفقيرة المملوءة بالخوف والتعب والحزن.

ثالثاً - الصورة الفنية

اهتم النقاد العرب القدامى والمحدثون بالصورة الشعرية، وأبرزوا دور الخيال في توضيح الفكرة وإثراء المعنى، كذلك اهتم أدباء الغرب بالخيال وما ينتج عنه من أثر جمالي في العمل الأدبي.

إن التصوير يقدم للمتلقي المتعة وحسن التذوق، بل إن أثره يساعد على تقبل الأفكار، وانتقال العاطفة التي انفعل بها الشاعر إلى الآخرين، فالعاطفة الصادقة تولد الخيال المبدع، وهنا نؤكد على ضرورة الانسجام بين الصورة الشعرية، وبين العاطفة.

والصورة الشعرية جزء لا يتجزأ من البناء الفني للقصيدة، فكلما كانت هذه الصورة مبتكرة مبدعة وجدت قبولاً وتعلقاً بها، وتزداد الصورة قيمة من خلال قدرتها على تنوير العمل الأدبي، بمعنى أن الذي يزيد من جمال العمل الأدبي هو قدرة الخيال على تجسيد المعنى، فالصورة الشعرية الناجحة المؤثرة هي التي تنبض بالحياة، فتفجر الإيحاءات من خلال اتساقها وانسجامها مع سائر عناصر القصيدة، وفي تمثيلها للإحساس.

لقد لون الشعراء الفلسطينيون قصائدهم بصور شعرية منها التقليدية، ومنها الحديثة التي استوحوها من حياتهم وظروفهم، ففي الربع الأول من هذا القرن كانت الصور تقليدية بسيطة تقوم على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية، لكن مع تقدم النهضة الثقافية والعلمية، استعاد الشعر قوته وإشراقه وأصالته، فقد قدم الشعر الحر لنا أنماطاً شيقة من التصوير والخيال جمعت بين الصور الجزئية والصور الكلية، وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال النصوص التي تم عرضها، ونصوص أخرى يمكن الاطلاع عليها.

وصورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر " صورة غنية ثرية، متعددة الجوانب والمعاني والألوان والأصوات والدلالات والرموز. وإن الشاعر الفلسطيني استخدم في رسم هذه الصورة كل ما حوله من أدوات، ونباتات، وأسلحة، ومواقع طبوغرافية، وأماكن لها

(1) قمر على شباكنا، الاستشهاد.. ميلاد ص55.

خصوصيتها كالمسجد الأقصى والقدس وغير ذلك من المدن والقرى والمخيمات. كما وظف لها التجارب الشخصية والجمعية، ومحصوله التراثي العربي، وثقافته من التراث الإنساني قديمه وحديثه، واستيعابه لمخترعات العصر الحديث ومنجزاته العلمية المتنوعة"[1].

لقد رسم القرآن الكريم صورة بليغة جامعة للشهيد ﴿ . . . أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [2]، كما رسم الشعراء الفلسطينيون صوراً عديدة له منها: أنه عريس ينتظره أصدقاؤه ليزفوه، أو أنه مسافر سيعود بعد غياب طويل، أو أنه وصي على الوطن يستصرخ الجميع للدفاع عنه، وأنه ينادي ويتحدث، وأن استشهاده زرعة في الأرض، وغرسة في قلوب الناس، وضمائر الأجيال، وأنه علم، وراية، وقدوة حسنة، ونبراس ونور ونار، وأنه لحن تتغنى به أفواه الملايين وغير ذلك كثير.

إن النصوص الشعرية الفلسطينية المعاصرة قدمت " صورة الشهيد الكلية، والصور الجزئية للدماء والجراح من الدلالات والرموز ما لا حصر له، واستعانت بالمجاز في كثير من تحولاته ومجالاته"[3].

إن الصورة التي يعرضها لنا الشاعر قد تكون صورة واقعية، وقد تكون خيالاً، لكن الشاعر الفنان المبدع هو الذي يستخدم عدسته فيلتقط الصور الواقعية، ثم يلونها بالخيال، فينتج لنا حينئذٍ صورة غاية في الروعة والبهاء، تزيد المعنى ثراء، والأفكار وضوحاً، وقد يؤسس علاقات شعريةً بين جسم الشهيد وبين النباتات: من أشجار وأزهار وفواكه وغصون وجذور، وبينه وبين أرض فلسطين: من جبال وسهول وأنهار وبحار ومدن وقرى ومخيمات.

إن الصورة التي رسمها الشاعر الفلسطيني لدماء الشهداء تنبض بإحساسه، فقد أخرجها من بين أنقاض الموت والفناء، وبعث فيها الروح من جديد لتتحول إلى أشياء محببة للنفس.

وكشواهد ونماذج لما تحدثنا عنه آنفاً نقتطف بعض المقاطع من بعض القصائد، ففي (صوت الدم) للشاعر وسيم الكردي:

دمنا على الأسلاك
في "أنصار"
يرقص في اندلاع الشمس ظهراً
عابقاً

---

(1) صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر ص481.
(2) سورة آل عمران: آية 169.
(3) صورة الشهد في الشعر الفلسطيني المعاصر ص482.

كالريح

لما تصطفي

قمراً

يداعب عند قبض الروح نهراً

تزدهي الصحراء

ترفع صدرها

نجماً[(1)].

في هذا النص يحاول الشاعر تجسيد معاناته ومعاناة أخوانه داخل سجن أنصار، فكثيراً ما يقوم السجانون الصهاينة بما يسمى بـ (القمعة)، يفتشون في أغراض السجناء، ويعتدون عليهم بالضرب، والغاز المسيل للدموع، وربما يطلقون عليهم الرصاص، فيصاب بعضهم أو يستشهد أحدهم، فتزداد معاناتهم وتكبر آلامهم.

نلاحظ أن الشاعر في هذا المقطع يبدأ بالتشخيص (دمنا .. يرقص) ليدلل على شدة النزف، وتدفق الدماء، ورغم أن الرقص يوحي بالفرح إلا أن الشاعر هنا استعاره للحزن، فنقلنا من جو الفرح إلى جو الحزن ليستثيرنا، وليمهد لما هو آتٍ، ثم ينتقل إلى التشبيه (كالريح) ليدلل على السرعة والاضطراب، ثم يعود إلى الاستعارة مرة أخرى (الريح تصطفى قمراً) ويمضي في الاستعارة (قمراً يداعب ...) وهكذا، وقد أراد الشاعر من ذلك رسم لوحة فنية متكاملة استمد عناصرها من الطبيعة (الشمس-الريح-القمر-النهر-الصحراء-النجم)، وجعل لكلٍ دوره، فالشمس تسطع ظهراً، بينما الريح تستدعي القمر ليداعب النهر عند قبض الروح، أما الصحراء فتزدهي وتتزين كأنها نجم متلألئ، وفي كل ذلك ما فيه من خروج عن واقع الصورة على أفق خيالي عريض يمزج الأشياء برؤية خاصة تدخل في مكوناتها مفردات الكون السامية: (الشمس والقمر والنجم) للدلالة على سمو الشهادة وقيمة الألم الدامي، ويضاف إلى كل ذلك مفردات الواقع بكل ما فيه من سعة تشكلها الصحراء والريح والظهيرة والنهر، ولا تناقض بين تلك المكونات الأرضية والسماوية لأن الشهيد من الأرض وروحه ذات علاقة بالسماء، والصحراء كدال على الجدب والواقع المرير المحاصر بالأسلاك لا تتناقض مع النهر المتوثب المنبثق من معاني الشهادة ليمنح الموت حياة والاستشهاد قيمة وعطاء وتواصلاً.

وتتكامل صور الشعراء حيث نشم رائحة الغبار المتطاير المنبعث من الصحراء مع هبوب الريح، ونحن نتحسس لون الدم الأحمر القاني على الأسلاك، كما نسمع صوت الحرية

---

(1) وسيم الكردي، وازدان بحرك بالحناء، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط1، 1989م، ص81.

الممزق على الأسلاك الشائكة التي تحيط بالمساجين وتمنع حريتهم، وكـذلك نلمـس الأشـعة المنبعثة من الشمس وقت الظهر، وضوء القمر، وتزين الصحراء، ولمعان النجـوم، وكـذلك نرى أصواتاً غريبة كحفيف الريح، وخرير النهر، وبعد ذلك نذوق طعم المرارة والحزن (عند قبض الروح)؟.

ويمتد في مقطع آخر في القصيدة نفسها:

هل لحظة بين الحصى والرمل
ينطلق الرصاص
ويستقر
بطلعة الجسد الندي
ويختفي صوت الرصاص
وينجلي صوت الشهادة
في مدار الكون
يفرش شمسه
بندائه الأزلي
يرسم ضوءه فوق الجدائل
عند سطح البحر
ينهض من تضاريس الحصى
في آبنا اشتعل المدى[1].

حيث نلمس رائحة البارود المنبعث من الرصاص المنطلـق، ونحـن نـسمع حالـة الاستشهاد ونزول الدم بسبب اختراق الرصاص للجسد، كما نشاهد نعومة الحصى وخـشونة الرمل، وكذلك نذوق طعم الضوء فوق الجدائل عند سطح البحر، ونرى صـوت الرصـاص ونداء صوت الشهادة، وأخيراً نذوق طعم الفرح الممزوج بالحزن، الفرح للـشهادة، والحـزن للفراق.

وعطفاً على (صوت الدم) السابق، فإننا نجد الشاعر هارون هاشم رشيد قد تحدث عن الدم بطريقة أخرى يقول:

أيها القاني الذي رويت منه التلال
والذي عرّت أنداءه شم الجبال
أيها الكاتب فوق الصخر: حطمنا المحال

---

(1) وازدان بحرك بالحناء، ص83.

شهدتك الشمس فاهتزت، وناجاك القمر
وإذ أنت النهر
وإذ أنت المغَني والمغَنى والوتر
وعبير ينفح النشوة في روح الزهر
غاض بحر منك، فاض، شربت طوفانه سود الرمال
وإذا أتفه ما يرجى محال في محال
هكذا قالت على الوهن: الرجال
فاستحالت وارفات الظل بيداء، وأضحيت سراباً
ولقد كنت كؤوساً، ولقد كنت شراباً
ولُغوا منك وحوشاً، ولغُوا منك ذئاباً
أيها القاني، لقد قدست في الترب الترابا
فلقد كنت، لدى التسآل، في الفجر جواباً"[1].

إن الشاعر هارون هاشم رشيد استخدم في رسم هذه اللوحة الفنية متكاملة المعالم كل ما حوله من أدوات، وخاصة طبوغرافية أرض فلسطين فذكر: (التلال والجبال والصخر والشمس والقمر والنهر والعبير والزهر والبحر والرمال والظل والبيداء والسراب والوحوش والذئاب والتراب).

لقد أبدع الشاعر في هذا النص فأضفى على الدم صفات التجسد الإنساني الحي، فالدم يسمع فخاطبه، والدم يعرف ويكتب، ويشهد ويناجى ويغنى ويطرب ويعطر ويفيض ويشرب ويقدس ويجيب على الأسئلة، هذا كله منح النص الشعري حياة خصبة ثرية.

ومما زاد هذا النص حيوية أيضاً ازدحام الصور في الأسطر الشعرية دون تكلف، فجاء على سبيل الاستعارة: (أيها القاني – رويت التلال- عرفت أنداءه شم الجبال- أيها الكاتب- شهدتك الشمس فاهتزت- ناجاك القمر- أيها القاني- قدست في الترب الترابا..) وكان التشبيه: (أنت النهر، أنت المغنى والمغنّي والوتر- عبير- روح الزهر- أضحيت سراباً- كنت كؤوساً – كنت شراباً- كنت.. جواباً).

أما الكناية فنجدها في قوله: (رويت منه التلال) كناية عن شدة النزف، و(عرفت أنداءه شم الجبال) كناية عن الشموخ والكبرياء، و(الكاتب فوق الصخر) كناية عن التحدي والصمود (غاض بحر منك، فاض) كناية عن كثرة الدماء النازفة، و(أضحيت سراباً) كناية عن سرعة

(1) هارون هاشم رشيد، رسالة إلى غزة، نفسه ص43.

انتقال الشهيد من الحياة الفانية إلى الحياة السرمدية الخالدة، (ولغوا منك وحوشاً، ولغوا منك ذئاباً) كناية عن الوحشية والظلم.

وإننا نلمس في هذا النص رائحة العبير ينفح النشوة في روح الزهر، ونحن نذوق مرارة لون الدم الأحمر القاني الذي رويت منه التلال، كما نسمع صمت الصخرة الملساء التي سيكتب عليها، كما نرى قدسية التراب، وكذلك نشم رائحة الكتابة فوق الصخر، واهتزاز الشمس، وخداع السراب، والبيداء القاحلة، وفيضان البحر، ونحس بمناجاة القمر، وصوت المغني والوتر، ونرى طعم الشراب.

وقبل أن نختم الحديث عن الصورة الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر نورد قول الشاعر الفرنسي الحديث (بول ريفردي): " إن الصورة إبداع ذهني صرف، وهي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة، وإنما تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعيتين تتفاوتان في البعد قلة وكثرة... إن الصورة لا تروعنا لأنها حسنة أو خيالية بل لأن علاقة الأفكار فيها بعيدة وصحيحة..."[(1)].

نعم إن الصورة الفنية إبداع متولد من عقل يقظ مدرك للحقائق يبرز الفكرة بأبهى هيئة، وينبع من عاطفة جياشة تلهب المشاعر بومضات تشعل الجوارح، ومن هنا فليس كل الصور على مستوى واحد من الجمال، وإنما يتفاوت جمال الصورة بتفاوت تركيبها الإبداعي، وقوة التأثير التي تنبعث منها.

والصورة الفنية للشهيد في الشعر الفلسطيني صورة حية غزيرة وثرية لأنها تحمل المعاني الإنسانية النبيلة، والأحاسيس المرهفة الصادقة.

رابعاً - الموسيقى والإيقاع

للشعر جمال أخّاذ، نتذوقه عندما نغوص في معانيه، وتطرب آذاننا لإيقاعه، فإذا دخل إلى نفوسنا، وامتزج بأحاسيسنا، وتفاعل مع مشاعرنا، أدركنا قيمة الجمال فيه، يقول الدكتور إبراهيم أنيس صاحب (موسيقى الشعر): "وللشعر نواح عدة للجمال، أسرعها إلى نفوسنا، ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر"[(2)].

والوزن والقافية من أهم عناصر الموسيقى الشعرية المتعددة، فالوزن إيقاع منظم، والقافية أصوات تتكرر في أواخر أبيات القصيدة وهي تشكل جزءاً هاماً من موسيقى القصيدة

---

(1) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ط2، 1972م، ص 134.

(2) شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1968م، ص8، 9.

لأنها: " بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن"(1).

لقد نَظَمَ معظم الشعراء الفلسطينيين قصائدهم على جل الأوزان الشعرية العربية المعروفة، "والذين استخدموا الصوت الكلاسيكي العمودي أكثروا من استخدام أوزان بحور: الطويل، والبسيط، والكامل، والوافر، والخفيف، والرجز، والذين استخدموا الصوت الجديد التفعيلي أكثروا من استخدام أوزان البحور الصافية: كالمتدارك، والمتقارب، والكامل، والرمل، والرجز، ولم نعثر عند أي منهم على نماذج شعرية جاءت على الأوزان المهجورة مثل: السريع، والمديد، والمضارع"(2).

ونلاحظ أنه قد "حدث بعض التغيير والتطوير في موسيقى القصيدة العربية كالخروج على القافية الواحدة، ثم طرأ تطور آخر حيث أصبحت التفعيلة الوحدة الأساسية في الإيقاع، محطمة بذلك وحدة البيت التقليدية"(3).

إذن دخل شعر التفعيلة الأدب الفلسطيني، وأصبح له أنصاره الذين شعروا بالانطلاق، فلم تعد تقيدهم القافية، ولا إيقاع معين، فقد استخدموا عدة أوزان، نوعوا في القافية، وقد حاول هذا النوع من الشعر إثبات نفسه رغم ما شابه من رمزية مبهمة، وقد جاء هذا التطور غالباً على وقع التغيرات التي حدثت في منتصف القرن العشرين، ومنها الوجع السياسي النابع من النكبات المتتالية في فلسطين التي كسرت المتوقع وأتاحت المجال للخروج عن المألوف الموسيقي.

ويمكن القول إن الشعر الفلسطيني سيطرت عليه الأوزان التي ورثها شعراء العربية حتى نهاية النصف الأول تقريباً من القرن الماضي، وفق نظام الوزن الواحد، حيث كان يعتقد أنصار هذا النظام بأهمية الوزن في الإيقاع والمعنى والعاطفة.

يقول الدكتور شكري عياد في كتابه موسيقى الشعر العربي: "والقيمة الحقيقية للإيقاع وذلك النوع منه المسمى بالوزن، لا تكمن في العلاقات الصوتية نفسها بل في التهيؤ النفسي

(1) المرجع السابق ص246.

(2) صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني ص478.

(3) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ص181.

الذي يحدثه الأثر الأدبي الجيد، من خلال شبكة عظيمة من العادات والمشاعر والدوافع، يبـدأ من الكلمات الأولى ويستمر في النمو"[1].

ومما يلفت النظر ويستدعي الانتباه الجمع بين الشكل التقليدي وشـكل التفعيلـة فـي قصيدة واحدة، هذا ما جاء في قصيدة (حوارية العار) لسميح القاسم حيث استخدم فـي بنائهـا البحر الكامل، وقد تعددت فيها الأصوات: السادن، والعبيد، وأوزيريس، والشاعر، والسلطان، ومنها:

السادن.
مولاي يمتثل الجميع
الخزي.. والد.. والدموع
والعبد، عن كرم، يبيح السيد المعبود أرضه
ويبيحه، إن شاء عرضه!
هذي صكوك الذل.. وقعها القطيع
وتهافت الخصيان فامنحهم فتات المائدة
واغفر لمن ماتوا على درب الرياح العائدة
أكفانهم مزق البيارق
وقبورهم وحل الخنادق
اغفر لهم! فالوغد أوزيريس! ضلّلهم
بمرشات الحروف الحاقدة.

وأوزيريس رمز انبعاث الحياة، والشاعر هو الصوت الذي يوقظ شعبه الغـارق فـي النوم والأحلام:

"الشاعر":

غيــر اللــواء الحــر لا نترســـم	وبغيــر صــك جراحنــا لا نقــسم
ولغير قـدس الـشعب لـسنا ننحنـي	وبغيــر وحــي الــشعب لا نــتكلم
فلتــشرب الرايــات نخــب جراحنــا	كأساً يفيض على جوانبهـا الـدم[2].

(1) موسيقى الشعر العربي، ص142.

(2) ديوان سميح القاسم الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، 1973م، ص550-551.

وكما وجدنا الإطار القديم وشكل التفعيلة على بحر واحد في شعر سميح القاسم نجـده أيضاً في بعض قصائد محمود درويش وغيره من شعراء فلسطين.

ولا يثيرنا العجب إذا رأينا شاعراً أو أكثر يستخدم أوزاناً متعددة في قصيدة واحدة من قصائد شعر التفعيلة، فربما أن الشاعر يفعل ذلك لتنويع تجاربه الموسيقية وفقاً للأبعاد النفسية، أو للتعبير عن الحالة الشعورية، والانسجام مع المعاني.

كما أنه قد يفعل ذلك لخلق نوع من التمايز بين الأصوات الدرامية المختلفة التي تمنح المتلقي شخصيات مختلفة على صعيد المضمون، ويعضد هـذا الاخـتلاف والتمـايز البعـد الموسيقي، الذي يكثف هذا التمايز بمجرد النظر إلى الشكل أو تذوقه قبل التمايز الحاصل على صعيد المضمون.

فهذه الشاعرة فدوى طوقان تستخدم في قصيدتها (الفدائي والأرض) أوزاناً متعددة، إذ أن قصيدتها مكونة من ثلاثة مقاطع: ففي المقطعين الأول والثالث يسمع صوت الفدائي (مازن أبو غزالة) وفي المقطع الثاني نسمع صوت الراوي.

لقد بنت فدوى المقطع الأول على البحر المتدارك (فاعلن أو فعلن) حيث عبرت عـن انفعال الفدائي واضطرابه:

أجلس كي أكتب، ماذا أكتب؟
ما جدوى القول؟
يا أهلي، يا بلدي، يا شعبي
ما أحقر أن أجلس كي أكتب
في هذا اليوم
هل هذا اليوم
هل أحمي أهلي بالكلمة؟
هل أنقذ بلدي بالكلمة؟
كل الكلمات اليوم
ملح لا يورق أو يزهر
في هذا الليل.

وقد جاء المقطع الثاني على بحر الرجز (مستفعلن) لتروي لنا فدوى قـصة الفـدائي، الذي تبدو عليه سمات الحزن والألم، وهنا تلعب الموسيقى دورها في تحقيق لـون العاطفـة فالوزن يسند المعنى ويتلون بالعاطفة:

ماضٍ أنا أماه
ماضٍ مع الرفاق

لموعدي

راضٍ عن المصير

أحمله كصخرة مشدودةٍ بعنقي

فمن هنا منطلقي

وكل ما لدي، كل النبض

والحب والإيثار والعبادة

أبذلها لأجلها، للأرض

مهراً، فما أعز منك يا

أماه إلا الأرض[1].

وتعود الشاعرة في المقطع الثالث إلى الفدائي (مازن)[2] ليقص علينا قصة استـشهاده، وقد بنت هذا المقطع على البحر المتدارك (فاعلن أو فعلن):

"طوباس"[3] وراء الربوات

آذان تتوتر في الكلمات

وعيون هاجر منها النوم

الريح وراء حدود الصمت

تندلع، تدمدم في الربوات

تلهث خلف النفس الضائع

تركض في دائرة الموت[4].

ويستشهد الفدائي (مازن) قبل أن يكمل حديثه، وتقوم فدوى بإكماله عنه، وكأنها بلسان شعبها تعلن مواصلة المسيرة حتى تحقق الهدف الذي استشهد من أجله مازن، ويبقى البحر كما هو في هذا المقطع:

يا ألف هلا بالموت!

واحترق النجم الهاوي ومرق

عبر الربوات

برقاً مشتعل الصوت

---

(1) ديوان فدوى طوقان الأعمال الكاملة ص505-506.

(2) استشهد (مازن أبو غزالة) في معركة طوباس في 1967/9/30، وقد استمر في اشتباك مسلح مع العـدو الصهيوني لمدة ثلاثة أيام.

(3) طوباس: بلدة فلسطينية تقع إلى الشمال من نابلس

(4) ديوان فدوى طوقان، الأعمال الكاملة، ص50.

زارعاً الإشعاع الحي على الربوات

في أرض لن يقهرها الموت!

أبداً لن يقهرها الموت[1].

ويلاحظ أن فدوى اعتمدت التنويع الموسيقي هنا ليس لإبراز الأصوات الدرامية المختلفة والشخصيات المتعددة، وإنما لإبراز الحالات النفسية المختلفة، فالانفعال الأولي حول جدوى الكتابة تناسبه تفعيلة الخبب بحركاتها السريعة وموسيقيتها المندفعة والمتدفقة، بينما تأتي تفعيلة الرجز للحظات سكونية تتعمق دخائل شخصية البطل وتعبر عن اجترار للحزن والأسى والمرارة، ثم تعود تفعيلة الخبب من جديد لتلائم حادثة الاستشهاد وتفاعلاتها المندفعة واندلاع الريح الصاخبة، ولهاثها الراكض في دوامة الموت، ولا تستطيع الشاعرة إلا أن تبقي على هذا النفس الموسيقي المندفع عندما تمارس دور الراوية التي تستلم راية الحديث عن الحكاية في لحظة الذروة المتمثلة بلحظة الشهادة، فتحافظ في ختام القصيدة على تفعيلة الخبب، لتتقمص شخصية الشعب وثورته المتأججة النابعة من التفاعل مع البطولة والشهادة التي يمارسها الفدائي.

وكل ذلك يمنح الباحثين الإدراك الكبير بتوظيف الشعراء للموسيقى وتنويعاتها كشكل وقالب ينسجم مع المضامين التي يرمون إليها.

ويلاحظ اضطراب الأوزان أحياناً عند بعض الشعراء، بمعنى الانتقال من بحر إلى آخر في القصيدة الواحدة نفسها، ولا ندري أخرج هذا عن قصد أو غير قصد منهم، فربما كان تركيزهم على المعاني والصور دون الوزن!!

فمثلاً يقول الشاعر ناجي علوش:

"رأيت وجهك المضيء بالإصرار

يستنبت الأشجار والأزهار في القفار

ويطلع الزنابق

رأيته يفيض بالخضرة في الحدائق

ويمنح البراعم الصغار

نلاحظ أن الوزن الغالب على هذه الأسطر هو: (مستفعلن) من بحر الرجز، لكننا نجد آخر السطر الأول وقد صار (مفاعيلان) من بحر الهزج، وآخر السطر الرابع صار (فعولْ أو فعو)، والأغلب أن الخلل الموسيقي وقع في (مفاعيلان) أما ما جاء بعد ذلك من (فعولْ) و(فعولن) فلعله جاء من باب التغيير الحاصل على (مفاعلن) في آخر السطور، ما فرضته موسيقى شعر التفعيلة، فتفعيلة (فعولْ) جزء من تفعيلة (مفاعلن) مع حذف (يلن) وتسكين العين في (مفاعيلن)، أما (فعولن) فهي جزء من (مفاعلن) بعد حذف (لن) الأخيرة، وذلك غير

---

(1) المرجع السابق، ص510.

معهود في الرجز، لكن التفعيلة استوعبته دون الشعور بالكسر للتقارب الموسيقي المبرر بين هذه التفعيلات في أواخر السطور والتفعيلة الأصلية التي جاءت معها.

ويمكن أن نوجز ما تناولناه سابقاً بالقول: إن تعدد الأصوات الشعرية أمر طبيعي نظراً لتعدد البيئات والثقافات، فمن الشعراء الفلسطينيين من حافظ على الصوت العمودي الكلاسيكي في شعره، ومنهم من جدد فاستخدم التفعيلة في البحور الصافية، ومنهم من جمعوا بين الصوتين معاً، فاستخدموا الصوت الكلاسيكي مع بدايتهم الشعرية، ثم انتقلوا إلى التفعيلة.

" فمن الشعراء الذين حافظوا على الصوت الكلاسيكي منذ البداية وحتى النهاية ولم يخوضوا في شعر التفعيلة: معري فلسطين، ومحمد الحوت، وبرهان الدين العبوشي، ومحمد العدناني، وخليل زقطان.

أما الشاعران الكبيران إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) فقد أبدعا شعراً متعدد القوافي والأوزان في القصيدة الواحدة إلى جانب محافظتهما على الصوت العمودي.

ومن الشعراء الذين بدأوا بالشعر العمودي ثم تحولوا إلى شعر التفعيلة: معين بسيسو، ومحمود درويش، وتوفيق زياد، وسميح القاسم، وشهاب محمد، ورجا سمرين، أما الشعراء أحمد دحبور، ومريد البرغوثي، وعلي فودة، ومنذر عامر، وفيصل قرقطي وغيرهم، فإنهم لم يكتبوا شعراً عمودياً، ولربما كتبوا بشكل قليل، لكن ذلك لم يثبت في دواوينهم.

وهناك شعراء لم يثبت بالدليل أن لهم شعراً عمودياً مثل: المتوكل طه، وعثمان أبو غربية، وعبد الناصر صالح، ومحمد حلمي الريشة، وربحي محمود، وسليمان دغش وغيرهم"(1).

---

(1) انظر: صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر ص470 بتصرف.

الفصل الرابع

توظيف التراث في شعر الشهادة

التناص مصطلح جديد لظاهرة أدبية ونقدية قديمة، تتمثل في تداخل النصوص، وهي سمة جوهرية في التراث العربي، وخير دليل على ذلك اهتمام النقاد بالمعاني المتكررة بين الشعراء، والبحث عن الأصالة لدى الشاعر، جاعلين مقياس ذلك قوة الإبداع.

ولقد اختلفت الآراء حول التناص، فالبعض يراه فقرا من الأديب يجعله يلجأ إلى نص أديب آخر، والبعض يراه سرقة، وآخرون يرون أنه ظاهرة طبيعية لا غضاضة فيها، وعززوا رأيهم بأن التناص كان معروفاً في الأدب العربي القديم، وضربوا مثلاً بالمقدمة الطللية (الوقوف على الأطلال) التي تبين أن النصوص الشعرية تتداخل فيما بينها.

وفي النقد الأوروبي الحديث هناك إجماع على أن (جوليا كريستيفا) البلغارية التي تحمل الجنسية الفرنسية هي أول من وضع مصطلح (التناص Intertextualit) عام 1966 م منطلقة من مفهوم (الحوارية) عند أستاذها (باختين) الروسي، وقد أجرت (كريستيلا) استعمالات إجرائية وتطبيقية للتناص في دراستها (ثورة اللغة الشعرية)[1] عرفت فيه التناص بأنه (التفاعل النصي في نص بعينه)[2]، ثم التقى حول هذا المصطلح عدد كبير من النقاد الغربيين وتوالت الدراسات حوله، وتوسع الباحثون في تناوله، وقد أضاف الناقد الفرنسي (جيرارجينيت) بتحديده أصنافاً للتناص، وبعد ذلك اتسع مفهوم التناص، وأصبح ظاهرة نقدية جديدة جديرة بالدراسة، فشاعت في الأدب الغربي ثم انتقلت إلى الأدب العربي مع جملة ما انتقل إلينا من ظواهر أدبية ونقدية غربية.

ويمكن تقسيم التناص إلى أشكال متعددة حسب تداخل نص مع نصوص سابقة منها[3]:

1- **التناص القرآني:** وفيه يقتبس الأديب نصاً قرآنياً ويذكره مباشرة، أو يكون ممتداً بإيحاءاته وظله على النص الأدبي، لنلمح جزءاً من قصة قرآنية، أو عبارة قرآنية يدخلها في سياق نصه.

2- **التناص الوثائقي:** وهذا النوع في النثر أكثر منه في الشعر كالسرد والسيرة، فيحاكي النص نصوصاً رسمية كالخطابات، والوثائق، أو أوراق أخرى كالرسائل الشخصية والإخوانية، لتكون نصوصهم أكثر واقعية.

3- **التناص والتراث الشعبي:** وتكون المحاكاة فيه على مستوى اللغة الشعبية، وهذا مما يؤخذ على بعض الأدباء، إضافة إلى الاستفادة، وتوظيف القص الشعبي، والحكايات القديمة والموروث الشعبي.

---

(1) انظر: الخطيئة والتكفير، د. عبد الله الغذّامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998، ص325-326

(2) من مقال التناص وإشاريات العمل الأدبي، صبري حافظ، مجلة (ألف) عدد4، 1984م، ص23.

(3) انظر: التناص والتلقي، د. محمد الجعافرة، دار الكندي، ط1، 2003م، ص19.

4- **التناص الأسطوري:** "وهو استحضار الشاعر بعض الأساطير القديمة وتوظيفها في سياقات القصيدة لتعميق رؤية معاصرة يراها الشاعر في القضية التي يطرحها"[1].

5- **التناص التاريخي:** وهو تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي للقصيدة.

6- **التناص الأدبي:** "هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعراً أو نثراً مع نص القصيدة الأصلي بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الشاعر"[2].

أنواع التناص:

أ- **تناص مباشر (تناص التجلي):** ويدخل تحته ما عرف في النقد القديم بالسرقة والاقتباس، والأخذ والاستشهاد والتضمين، فهو عملية واعية تقوم بامتصاص وتحويل نصوص متداخلة، ومتفاعلة إلى النص.

" ويعمد الأديب فيه أحياناً إلى استحضار نصوص بلغتها التي وردت فيها، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي، أو الشعر والقصة"[3].

ب- **تناص غير مباشر (تناص الخفاء):** وينضوي تحته التلميح والتلويح والإيماء، والمجاز والرمز، وهو عملية شعورية يستنتج الأديب من النص المتداخل معه أفكاراً معينة يومئ بها ويرمز إليها في نصه الجديد"[4].

بعد هذا التقديم للتناص، يمكن العودة إلى الشعر الفلسطيني ليتحدث الباحث عن التناص فيه، حيث يرى أن: التناص هو أن يطرق الشاعر موضوعاً سابقاً ومعروفاً في التاريخ، أو أن يتحدث عن واقعة بعينها أو شخصٍ أو شعرٍ سابقٍ في عصور الأدب العربي، فيوظف التراث في إطار الإسقاطات السياسية، وهو كثير في الشعر الفلسطيني طوال مسيرته.

وكأن الشاعر من خلال استدعائه لتلك الشخصيات التي قد ماتت، يريد أن يحييها من جديد لتدخل في نضال الفلسطيني، ولتحمل الهم معه وتسانده، أو لأن هذه الشخصيات لا زالت

---

(1) أحمد الزغبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2000م، ص117.

(2) المرجع السابق، ص50.

(3) التناص والتلقي، ص15.

(4) مقال نظرية التناص، حسين جمعة، مجلة اللغة العربية بدمشق، مج75، ج2، ذو الحجة 1420هـ، ص 356-357.

لها آثار في نفوس الأحياء، يريد الشاعر أن يستفزها ويستنفرها لتصبح طاقة فاعلة، ليضيفها إلى الطاقات المسخرة من أجل قضيته.

ويعد الشاعر معين بسيسو أكثر الشعراء استدعاء لأسماء الأشخاص قديمهم وحديثهم من الشعراء وغيرهم، ولأسماء الأماكن والمعارك والحروب وقادتها وأبطالها، وقد ورد عنده أكثر من مائتين من تلك الأسماء، حتى لا تكاد قصيدة له تخلو من أحدها أو بعضها. ونجد أقل من ذلك بقليل عند محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد، وفدوى طوقان، وأبي سلمى، وغيرهم من الشعراء.

وأكثر الأسماء تردداً في شعرهم جميعاً من الشعراء: امرؤ القيس، المتنبي، أبو تمام، ومن القادة: صلاح الدين الأيوبي، وخالد بن الوليد. ومن الأسماء الأسطورية: إزيس وأوزوريس، وسيزيف، وعوليس، وبنلوب، وأدونيس، وعشتار.

ويمكن القول: إن الشاعر الفلسطيني قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتراثه العربي الشعري، لدرجة أن هذه الصور طُبعت وحفرت في وجدانه بحيث يمكنه أن يستدعيها في أي موقف شعري شاء، ويرى ضرورة لحضورها.

ومع تغير الظروف والأحوال أضفى الشاعر الفلسطيني على صورة الشهيد رمزية خاصة أعطت هذه الصورة زخماً وقدسية وحيوية، استمد مادتها من التراث مع مزجها بصفات الكائنات المحيطة كالمياه، والجبال، والأشجار والورود وغير ذلك... .

ولعل كل ما شُبه به الشهيد من تشبيهات وما صيغ له من رموز ومجازات لغوية وفنية جاء من منزلته الرفيعة العالية، ومكانته السامقة مع النبيين والصالحين جزاء لما قدمه لوطنه ولأمته، فأصبح هو الرمز للبطولة والعطاء والفداء والتضحية.

ونستطيع أن نجمل التفاعلات النصية في شعر الشهادة كالتالي:

أولا- الشخصيات:

وكان أكثر الشخصيات استدعاء وحضوراً في هذا اللون من الشعر من القادة المسلمين: خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، وطارق بن زياد، ثم تبعهم الفاروق عمر وأبو بكر وحمزة والمقداد وعمرو بن العاص وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعقبة بن نافع وسيف الدين قطز.

ومن الشخصيات الجاهلية: عنترة بن شداد وزرقاء اليمامية وكليب وجساس وجليلة والبسوس (المرأة).

ومن الشعراء: امرؤ القيس والمتنبي وأبو تمام وقيس بن الملوح والخنساء وابن زيدون. ومن الشخصيات التاريخية الأنبياء: إبراهيم وزوجته هاجر ونوح وأيوب وسيدنا

محمد - عليهم السلام - ، وكذلك قابيل وهابيل وهاروت وماروت والنمرود والزير سالم والبرمكي وكليوبترا ورمسيس، ومن الشخصيات الأسطورية: إزيس وأوزوريس، وسيزيف، وعوليس، وبنلوب، وأدونيس وعشتار.

وحتى يكون هذا الأمر أكثر وضوحاً، لا بد من تناول بعض النماذج الشعرية التي تدلل على ما قلناه سابقاً:

يقول الشاعر رشاد الصغير في قصيدته (من أين أتيت؟):

يا ثائر، باسم الله، رميت

من أين أتيت؟

أبقلب صلاح الدين القاهر؟

أم عزم سناء، وعزة خاطر؟

أم من قبر البطل العربي الخالد؟

خالد[1]

وتبرز هنا شخصيتا القائدين المسلمين صلاح الدين الأيوبي وخالد بن الوليد، وقد ربطهما بالثورة والمقاومة والواقع، وكذلك تبرز شخصية الفدائية سناء، وشخصية الجندي المصري سلمان خاطر الذي قام بقتل مجموعة من اليهود بالقرب من إيلات.

أما الشاعر رفيق أحمد علي فقد استدعى البطل المقدام طارق بن زياد الذي لا يعرف الفرار أو الرجوع إلى الوراء يقول:

لا تتوقف يا تيار الشوق المتجدد

منذ ابن زيادٍ طارق

حين اشتاق إلى قُدام

فأمات الشوق جميعاً لوراء[2]

وفي قصيدة (ملحمة الشوق) نفسها يجمع الشاعر بين شخص النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - والخليفتين أبو بكر وعمر، ويبين دورهم في محاربة الكفار والمرتدين والظالمين، وقد جعل في هذا الفعل عبرة لكل الثوار الأحرار:

لا تتوقف.. لا تتوقف!

يا تيار الشوق المتجدد

منذ محمد

(1) رشاد الصغير، ديوان محطات (شعر) ص6.

(2) رفيق أحمد علي، ديوان الطوفان، ملحمة الشوق ص49.

"صلى الله عليه وسلم"
حين اشتاق إلى معبودٍ أوحد
فأطاح برأس الكفر
والعزى ومناةً حطم!
حتى الصديق أبي بكر
حين اشتاق إلى أعناق المرتدين
فأطاح برأس الزور!
حتى الفاروق عمر
حين اشتاق إلى عدل الله فقتل الجور(1).

ونرى أيضاً الشاعر محمد حلمي الريشة يجمع في قصيدته (هوامش على هزيمة شاعر) بين الشخصيات الإسلامية الكبيرة خالد بن الوليد وطارق بن زياد وحمزة وعقبة بن نافع، يقول:

فخالد وطارق وحمزةٌ
وعقبة بن نافع،
يقدسون ساحة الوغى
ويرفعون فوقها الحسام(2).

ومن الملاحظ أن قصيدة (هوامش على هزيمة شاعر) فيها تناص مع قصيدة نزار قباني (هوامش على دفتر النكسة)

أما الشهيدان البطلان جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة، فقد ذَكر بهما الشاعر رفيق أحمد على الأحياء والشهداء ليحملوا الراية من بعدهما:

سنذكركم أيها الشهداء
لنبقى نذكر الأشياء
فذاكرة بغيركم هي النسيان
سنذكركم ونذكر أنكم من قد
هوى والحق في يمناه راية جعفر أو زيد

(1)ديوان الطوفان، ملحمة الشوق ص47، 48.
(2) محمد حلمي الريشة، ديوان حالات في اتساع الروح ص22.

ومن حدد
مقاس خريطة الأوطان
فما فرط.. ولا بدد[(1)].

ومن الشخصيات النسائية التي كان لها حضورها في شعر الشهادة (زرقاء اليمامـة)، ففي قصيدة بعنوان (ناضل) للشاعر ماجد الدجاني، يرى الشاعر أنه لا بديل عـن المقاومـة والنضال، لأنهما الطريق الوحيد والقريب إلى الحرية وبناء الدولة:

عجباً لزرقاء اليمامة صوتها هدراً يضيع
تقول: (إياكم وخضراء الدمن)
وتصيح إياكم وأزهار المزابل
يا صانع التحرير بالحجر المقدس لا تجامل
ناضل وناضل[(2)].

ونجد التناص أيضاً في قول الشاعر (إياكم وخضراء الدمن) مـع الحـديث النبـوي الشريف الذي يحمل المعنى نفسه، أما الشاعر خالد سعيد فقد جمع بين صور الزعماء العرب المتخاذلين وصورة الشاعر الجاهلي (امرؤ القيس) الملقب بالملك الضليل، فكأنما أراد الشاعر أن يصور حالهم بحاله، وهي حالة الاستسلام والانهزام والتبعية:

" سيقوم سيادة مرْءِ القيس ترافقه زمرة الفرسان"
" سيمم شطر البيت الأسود يقرع أبواب الرومان"
" سيعرج مرْء القيس على صنم يطلب منه استئذان"
" سيعود إلينا مرْء القيس ليحمل عهداً من ريغان"
" سيعود إلينا مرْء القيس يعبئ جعبته الإيمان"
"إيمان بسلامٍ عدلٍ وشمولٍ يملأ كل مكان"[(3)].

وفي نفس السياق ينتقد الشاعر خضر محجز حال العرب الذين تقاعسوا عـن الـدفاع عن فلسطين، ورغم ذلك لا يكفون عن الادعاء الكاذب بـأنهم يحملـون همهـا ويحـاولون

---
(1) النقش على الهواء، عرفان ص148.
(2) قمر على شباكنا، قصيدة ناضل ص76.
(3) حجر وشجر، امرؤ القيس وصبرا وشاتيلا ص49، 50.

تحريرها، وهنا شبههم بالرجل العجوز، وجعل من يقوم بدور امرئ القيس في القصيدة السابقة الزير سالم:

يقسم بالعظيم العجوز العظيم، ويمخط
من أنفه صرخة، ليؤكد صدق روايته
للجلوس،
فينثر سيل المخاط، كما نثر" الزير
سالم" فرسان بكر بكل السفوح
فإذا لم تصدق، فويل يغطيك مثل المخاط
لتصبح مثلي رهين التلف[1].

وفي موطن آخر، في قصيدته (أصالة) نرى شخصية (الزير سالم) تظهر مرة أخـ رى بدور جديد:

جدنا الزير، سالم، مازال حياً،
يمارس شهواته باقتدار،
فهو يدعو قبيلتنا دائماً للقتال،
يقول:
(كُتب القتل والانتحار عليكم)..[2].

وقد ظهرت شخصيات تاريخية وأسطورية في شعر ماجد الدجاني، وقد أعطى الشاعر لكل شخصية من هذه الشخصيات دورها يقول:

هاروت ينفث سحره وأمامه
بعض الحواة مشعوذين وزار
البرمكي يحيك ثوب دسيسة
فمتى يزول عن الدروب العار
إيزيس تنسج بالتفاؤل شالها
أترى سترسل أوزوريس بحار[3].

---

(1) اشتعالات على حافة الأرض، قصيدة العجوز العظيم ص25.

(2) المرجع السابق ص100.

(3) قمر على شباكنا، أيار ص4،3.

ثانياً: توظيف الأحداث التاريخية:

وقد استخدم الشعراء هذه الموضوعات على سبيل التذكير بالماضي ثم ربطوها بالحاضر وكأنهم يريدون أن يقولوا لنا (التاريخ يعيد نفسه)، ومن أبرز هذه الموضوعات: الهجرة النبوية، وتغريبة بني هلال، والطوفان، وهجوم التتار على بغداد، وتحطيم سيدنا إبراهيم عليه السلام للأصنام، والخوارج الذين شقوا صف المسلمين.

وقد وظف الشعراء الفلسطينيون حادثة الهجرة النبوية، وقارنوا بينها وبين أوضاعهم (حادثة الهجرة عام 1948)، فقد هاجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة، وقد هاجر الفلسطينيون من قراهم ومدنهم جراء المذابح الصهيونية التي أرتكبت بحقهم، فهذا الشاعر ياسر الوقاد يشير إلى الهجرة النبوية ويربط بينها وبين المقاومة الفلسطينية:

فتى ساطع
دخل الغار، يا ويحنا
لا حمامة، ولا عنكبوتاً
ولكنه الحجر البرتقالي
يعمي المدافع،
والجبروتا[1].

ويذكرنا أيضاً الشاعر ياسر الوقاد بحادثة (كسر الأصنام) التي كانت تُعبد من دون الله، والتي قام بتحطيمها سيدنا إبراهيم - عليه السلام-، وأراد المشركون أن ينتقموا منه فأشعلوا ناراً كبيرة وقذفوه فيها، لكن عناية الله حفظته:

وحول البئر قضبان مولولة
وحول الفأس أصنام
وإبراهيم
لا برد ولا سلم ولا نور[2].

---

(1) ياسر الوقاد، قناديل ملونة، سطوع ص11.
(2) المرجع السابق، المهدي ص45.

وتقدم لنا الشاعرة فدوى طوقان صورة شعرية لما حل بالوطن من كارثة بعد هزيمة حزيران 1967، حيث رمزت لهذه الكارثة ب(الطوفان) الذي أغرق الكفار أيام سيدنا نوح - عليه السلام -، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [(1)].

تقول فدوى:

يوم الإعصار الشيطاني طغى وامتد

يوم الطوفان الأسود

لفظته سواحل همجية

للأرض الطيبة الخضراء

هتفوا، ومضت عبر الأجواء الغربية

تتهادى بالبشرى الأنباء

هوت الشجرة![(2)].

ويبدو أن مقولة (التاريخ يعيد نفسه) لها حظها من الصدق، فقد سقطت بغداد في أيدي التتار، وها هي اليوم تسقط في أيدي الأمريكان وحلفائهم، ويعتبر هذا السقوط كارثة العصر بعد سقوط فلسطين، يقول الشاعر ماجد الدجاني في قصيدته (جلجامش.. عصرية):

عاد التتار لبغداد إلى وجه (كتبغا) وتيمورلنك

عاد السلاطين شبه الرجال جسوراً

لزحف التتار الجديد

وتنهض بغداد من نومها[(3)].

إن شخصية (كتبغا) المجرمة وكذلك شخصية (تيمورلنك) تشبهان إلى حد كبير الشخصيات المجرمة الموجودة في هذا العصر والتي فعلت نفس فعلها من غزو للعراق الآمن.

ويشير الشاعر خضر محجز إلى الخوارج الذين شقوا الصف الإسلامي، وقاموا بقتل الإمام علي (كرم الله وجهه)، فكان لفعلهم هذا أثره السيء على وحدة المسلمين وقوتهم، يقول الشاعر:

الخوارج عادوا، لكي يقتلونا

---

(1) سورة العنكبوت، الآية:140.

(2) ديوان فدوى طوقان/ الأعمال الكاملة، قصيدة الطوفان والشجرة ص487.

(3) قمر على شباكنا ص63.

إماماً، إماماً..

لدي الشهود[1].

إن خوارج هذا العصر هم من فعلوا فعل الخوارج السابقين، فقد تـآمروا علـى قتـل الفلسطينيين وتصفية قضيتهم.

ثالثاً- المعارك والحروب:

من خلال اطلاع الباحث على النصوص الشعرية المتعلقة بشعر الشهادة رأى أن أكثر المعارك بروزاً في شعر الشهادة معركتا حطين وعين جالوت ثم جاء بعدهما بدر واليرمـوك وصفين.

أما المعارك التي تم ذكرها في الشعر الفلسطيني كرمز للانتصار الذي لابد أن يتكرر في هذا العصر، نجد معركتي حطين وعين جالوت تتصدران هذا الشعر، يقول الشاعر رفيـق أحمد علي في قصيدته (مع القهوة والليل):

لا أستيقظ إلا في حطين

ألثم طيناً جاست فيه

سنابك خيلك يا حطين!

وأنادي: ويلي من غيبة هذا الطين

والقدس تُسمى

ليس فلسطين

وأنادي: ويلي

من غيض عيونك يا عين جالوت!

وأنا أُقتَل ظلماً في بيروت[2].

ثم يمضي الشاعر في القصيدة نفسها ليحدثنا عن عين جالوت وعن صلاح الدين وعن كليوبترا ورمسيس:

وتفيض بماء الطهر

عين جالوت والصخرة

ويعود صلاح الدين

ليشد القيد بأيدي كليوبترا

---

(1) اشتعالات على حافة الأرض، نصيب النساء لماماً ص92.

(2) الطوفان ص27، 28.

ويحطم تمثالك يا رمسيس الثالث

والرابع والخامس

حتى العشرة

ويغطي بعباءته أجزاء العورة![1]

لقد أراد الشاعر لصلاح الدين أن يعود مرة أخرى إلى هذه الحياة الدنيا ليحاكم الخونة، ويقضي على العملاء وخاصة من يملكون القرار منهم، أراد الشاعر من صلاح الدين أن يرفع الظلم بإزاحة الحكام والزعماء الذين فرضوا أنفسهم أو فرضهم المستعمرون على شعوبهم.

ويتغنى الشاعر خالد سعيد أيضاً بحطين وعين جالوت في شعره، يقول في قـصيدته (كيف السبيل):

حدثته عن قصة التحرير جيلاً بعد جيل

ووقفت في حطين أقطف زهرة الأمل النبيل

ورأيت في جالوت ماء النيل يبتلع المغول[2].

كان لمصر دولاً عظيماً في الدفاع عن كرامة الأمة، وكان الشاعر الـذي أراد لهـذا الدور أن يبقى، فلا بد من النصر كما في عين جالوت ولا بد للجيش المـصري أن يتحـرك لنصرة أخوانه الفلسطينيين.

أما معركة (اليرموك) فكان من نصيبها أن تذكر في شعر رشاد الصغير في قـصيدته (نشيد خولة) يقول:

خالــد أقبــل يزهــو بســيفه   يقطــر الــدمع غزيــراً ســاخناً

حــرروا (اليرمــوك) شــدوا أزره   واحملــوا الأعــلام تعلــو جنــدنا

وبالعودة إلى شعر رفيق أحمد علي نجد أنه جمع بين البطلين صلاح الـدين الأيـوبي وسيف الدين قطز، كما جمع بين بدر وحطين، يقول:

لا تتوقف يا تيار الشوق

منذ صلاح الدين

حين اشتاق إلى نصر الله

فاعتصم بحبل الله

فأضاف إلى بدرٍ وحطين..

---

(1) المرجع السابق ص29.

(2) حجر وشجر ص45.

حتى سيف الدين

حين اشتاقَ إلى دين الله فنادى

والجند تَنادوْا " واإسلاماه"

فسقى بدم التتر شاماً وفلسطين[1].

رابعاً- التناص:

وكان أكثر الاقتباس في هذا النوع من الشعر: الاقتباس من القرآن الكريم ثم التضمين من الشعر ثم من الأمثال الشعبية ثم من الأحاديث النبوية.

ويبدو الاقتباس من القرآن الكريم واضحاً في بعض أشعار الشهادة، لكنه ليس كثيـراً، ويمكن أن نذكر بعضاً منه على سبيل المثال، يقول الشاعر خضر محجز في نهايـة قـصيدته (قصيدة لم تكتمل بعد):

النيل أزرق، لون عيني الحقيقة

أزرق، والدم أزرق في عروق

الآخرين على المعابر:

" فادخلوها آمنين" وشاهدين

على انتماء دمي لغير أبي وأمي[2].

وقد اقتبس الشاعر (فادخلوها آمنين) من قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [3]، وكذلك نرى أن التضمين من الحديث الشريف قليل جداً، ومن أمثلته قول الشاعر ماجد الدجاني فـي قصيدته (ناضل):

عجباً لزرقاء اليمامة صوتها هدراً يضيع

تقول: (إياكم وخضراء الدمن)

وتصيح إياكم وأزهار المزابل[4].

فقول الشاعر (إياكم وخضراء الدمن) مقتبس من الحديث الشريف: "إياكم وخـضراء الدمن، فقيل يا رسول الله: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء "[5]

---

(1) الطوفان، ملحمة الشوق ص49، 50.

(2) اشتعالات على حافة الأرض ص88، 89.

(3) سورة الحجر: الآية 46.

(4) قمر على شباكنا ص76.

(5) مسند الشهاب القضاعي، باب إياكم وخضراء الدمن، ج3، ص369.

ومنه تضمين حديث زمن القابض على الدين كالقابض على الجمر في قصيدة مصير رسالة حب للشاعر كمال غنيم:

- ما زلتَ على جمرِ الإيمان؟!

- وسأبقى مهما ظلت رايات الحزن؛

ترفرف عبر الأزمان.

إنسان،

لكني لا أعرف معنى النسيان.

وبإذن اللهِ...

سأبقى أطرقُ باب الرحمن.

حتى يؤذن بالغفران.

رب إليك سأمضي ،

مهما أوجعني الذنب ،

ومهما ضج العصيان .

رب إذا خاف أبو بكرٍ والفاروقُ...

فمن يسقيني غير رضاك...

برد استقرارٍ وأمان ؟!(1)

وفي قصيدة أشاوس للشاعر نفسه إشارة للحديث ذاته:

رجالٌ على جمرِ عصرٍ غريبٍ نسير.

وتسلخ منا السجون الكثير الكثير.

ومنّا الشهيد بساحِ النزال،

وأعواد شنقٍ،

وصاروخ حقدٍ،

وسم خطير !!(2)

أما الاقتباس من الشعر فله حظ أوفر، ونصيب أكبر، فهذا الشاعر ماجد الدجاني يقتبس من شعر عبد الرحيم محمود في قصيدته (الشهيد):

فإما حياة تسر الصديق   وإما ممات يغيظ العدا

---

(1) جرح لا تغسله الدموع، 168.

(2) جرح لا تغسله الدموع، 141.

نجد هذا المعنى حاضراً في قول الشاعر الدجاني:

وتنهض بغداد من نومها
فالنفير كما كان ملء الدماء
وحب الحياة وجيب بصدر الفرات
(فإما حياة تسر وإما ممات)[1].

والبيت نفسه المقتبس يتكرر في قصيدته (قبل ابتداء الصليل):

نحاول أن نستعيد هوى البيد
(إما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ)[2].

وقليل ما نجد الاقتباس من الأمثال الشعبية، ومما وجدناه قول الشاعر ماجد الدجاني في قصيدته (الأقصى):

فيا مسرى النبي لنا لقاء
به ستفك أغلال الأسير
(وإن غداً لناظره قريب)
وتنقاد الليالي للصبور[3].

خامساً- أسماء الأماكن:

ومن أكثر الأماكن شهرة في هذا الشعر: حيفا وعكا والخليل والقدس والكرمل وغزة ثم الأندلس، ومن الأماكن المقدسة الأقصى والحرم الإبراهيمي، وقد استمد وجودها من حضورها التراثي لأنها مرتبطة بالذاكرة الفلسطينية، وتنتمي إلى وجدان الذكريات الحميمة والقدسية والأليمة.

ولذلك كان النصيب الأكبر في الحضور الفاعل للمدن الفلسطينية المحتلة عام 1948 ، ثم تلاها المدن التي احتلت عام 1967، يقول الشاعر خضر محجز رابطاً بين حيفا والكرمل وحق العودة:

حيفا تلملم ما تبقى من ضفائرها،
وترحل في قطار الليل غرباً
والموج كف عن الحنين إلى

(1) قمر على شباكنا، جلجامش.. عصرية ص63.
(2) المرجع السابق ص71.
(3) المرجع السابق ص16، 17.

السواحل.

والكرمل المشدوه صامت.

والبحر مات من التطلع

للمدى..[1].

وبعض الأماكن اكتسبت شهرتها بسبب المذابح التي حدثت فيها، فالشاعر صالح فروانة يجمع بعض هذه المجازر التي سميت بأسماء الأماكن التي حدثت فيها- في شعره يقول:

قُصي حكاية مقبرة

كانت تُسمى قبل يومٍ

بيت ريما

صبرا جديدة

كفر قاسم

قبية جديدة[2].

المذابح لم تنتهي بعد، فقد جمع الشاعر بين المذابح القديمة والمذابح الجديدة.

أما مدينة القدس فقد ذكرت في أشعار كثيرة، نقتطف منها شعر هارون هاشم رشيد الذي يوجه مناشدة مباشرة إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه – ليأتي إلى القدس مرة أخرى ليحررها:

أطِل بسيفك المنشود

والموعود .. يا عمر

فإن القدس دامية

ووجه القدس منكسر[3].

أما عكا والخليل فقد جاء ذكرهما في شعر المتوكل طه يقول:

وساحة الشهداء العابرين على ... جسر الخلود بلا من ولا عتب

أراهم الآن في عكا وساحلها ... إلى الخليل قناديلاً من العنب[4]

(1) اشتعالات على حافة الأرض، قصيدة لم تكتمل بعد ص81.

(2) مفردات فلسطينية ص37.

(3) ثورة الحجارة، قصيدة إلى عمر بن الخطاب ص70.

(4) الخروج إلى الحمراء، دار الزهراء للنشر والتوزيع، رام الله، 2002 ص85، 86.

ولقد ربط الشاعر علي الخليلي بين الأراضي المحتلة وبين الأندلس (الفردوس المفقود) يقول:

في كل ليلة، هنا في أرضنا المحتلة
أرى أسبانيا وأرى الأندلس، وابن زيدون وموسى بن ميمون،
على حدقة واحدة.
مثل من ينقش بالإبرة فوق عيني، أرى،
وأرتجف[1].

ومما يلفت الانتباه، ويزيد القصيدة حيوية، أن نجد في القصيدة الواحدة أنواعاً مختلفة من التناص، ففي قصيدة عبد الكريم السبعاوي التي بعنوان (متى تُرك القطا) نجد الاقتباس من القرآن الكريم ومن الشعر، وذكر الشخصيات والمعارك والأماكن والكائنات المحيطة، يقول السبعاوي:

لكأنها إرم العماد
تدور في السبع الشداد
وكأنني المجنون تختلط الجهات علي
هل بانت سعاد؟
أم أنها ذبحت بساح المسجد الأقصى؟
وتحتشد البوارج في الخليج لأن حيي وائل اقتتلا
وتلتحق البسوس بقيصر
والروم تربط خيلها في السدر والنخل[2].

فقول السبعاوي (لكأنها إرم العماد) مقتبس من قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾[3].

(1) سبحانك سبحاني من طينك طوفاني، قصيدة أحسن تقويم ص34، 35.
(2) عبد الكريم السبعاوي، متى ترك القطا، نفسه ص52.
(3) سورة الفجر، الآيات: 6-7-8.

وقوله (تدور في السبع الشداد) مقتبس أيضاً من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [1].

وقول الشاعر (هل بانت سعاد؟) مقتبس من قول الشاعر الجاهلي كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يجز مكبول

ونلاحظ أن الشاعر جمع بين حرب الخليج وحرب البسوس، وذكر قيصر والروم وذكر أشجار السدر والنخل، كما ذكر المسجد الأقصى من قبل.

وكذلك نرى التراث الشعبي واضحاً من خلال التناص في قصيدة (إيمان حجو) تلك الطفلة الرضيعة التي لم تتجاوز شهرها الرابع، والتي اغتالتها عصابات الشر الإسرائيلية برصاصات مزقت جسدها، وذلك يوم الاثنين 7 أيار (مايو) 2001، يقول الشاعر هارون هاشم رشيد مخاطباً الطفلة الشهيدة إيمان:

يا ملاكي

أغمضي عينيكِ نامي

أغمضي عينيكِ نامي

في سلام

يا ابتسام الضوء في وجه الظلام

أغمضي عينيكِ نامي..،

سوف آتيك بزوجٍ من حمام.

على الرغم من أن الشاعر يدرك أن الشهيدة إيمان فارقت الحياة تماماً، إلا أنه يطلب منها أن تنام بهدوء، وأنها لو نامت سوف يعطيها مكافأة (سوف آتيك بزوجٍ من حمام)، هذا الكلام مقتبس من قول الأم الفلسطينية عندما تهدهد طفلها وتحاول أن تنيمه، تغني له فتقول: (نام وأذبحلك جوز الحمام، بضحك عليك يا حمام لما ابني ينام).

---

(1) سورة يوسف، الآية: 48.

الخاتمة

يتميز شعر الشهادة بالمزج بين عشق الروح التواقة إلى إحدى الحسنيين وإيمان القلب المشتعل ثباتاً ويقيناً، لذلك فلا غرو أن تأتي ألفاظه بلون الدم، وأن يكـون لمعانيـه رائحـة المسك، وأن تنضح عاطفته بعبق الوطن.

وقد شرفني أن أتناول شعر الشهادة بشيء من الإضاءة التحليلية، والومضات النقديـة، وقـد ملأني الإعجاب بهذا اللون من الشعر عندما وجدت نصوصه مكتنزة بالقيم النبيلـة الرفيعـة، والانفعال الصادق، والأداء التعبيري المؤثر.

لقد أرخ شعر الشهادة فنياً للأحداث التي تجري على الساحة الفلسطينية، وفي ذلـك تـصديق للمقولة (الشعر ديوان العرب)، فأبرز هموم الشعب الفلسطيني والمآسـي التـي لحقـت بـه، والمذابح التي ارتكبت بحقه، وموقف الصديق والعدو من ذلك، وبين أن هذا الشعب جدير بكل إجلال وتقدير، لأنه لم يستسلم ولم يركع بل ظل يقاوم ويقاوم إلـى الآن علـى الـرغم مـن المؤامرات الدنيئة التي تحاك ضده ليلاً ونهار، سراً وجهاراً.

وقام شعراء الشهادة بواجبهم الخلاق ودورهم البناء، في إبقاء جـذوة الـصراع مـع العـدو الصهيوني مشتعلة فدعوا إلى المقاومة والتمسك بحق العودة، والدفاع عن الأرض، والتمـرد على الظلم والاضطهاد، ورص الصفوف، وانتزاع الحقوق، وتحرير الوطن.

وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول، تمهيد، واحتوى على ثلاثة موضوعات:

1. فلسفة الحياة والاستشهاد في الإسلام: وقد بينت أن فلسفة الحياة في الإسلام مبنية على سعادة المسلم في الدارين: الدنيا والآخرة، وبينت كيف يتم تحقيق هذه السعادة. أمـا فلسفة الاستشهاد في الإسلام: فرأيت أن الاستشهاد يحفظ دماء المسلمين ويقضي على الظلم والفساد.
2. المقاومة سنة كونية: وهدفها استعادة الحقوق المسلوبة وإعزاز دين الله فـي الأرض، وتحقيق الحياة الكريمة.
3. الإرهاب: وتحدثت فيه عن معنى الإرهاب، وبينت فيه أن الإسلام دين رحمة، وأنـه يرفض كل إرهاب مبني على الظلم كالإرهاب الإسرائيلي.

ودار الجهد في الفصل الأول على هزيمة حرب 1967 وآثارها، فتحدثت في البداية عن دوافع اندلاع الحرب وأهدافها ونتائجها، ثم تحدثت عن حرب 1973، ثم سـردت سـرداً تاريخيـاً موجزاً للمراحل التي مرت بهـا القـضية الفلـسطينية، ثـم أتبعـت ذلـك بالحـديث عـن

التحولات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية في الواقع العربي والفلسطيني.

وجاء الفصل الثاني ليتناول تجليات شعر الشهادة على مستوى المضمون، فبدأت بتعريف الشهادة لغة واصطلاحاً، ثم ربطت الشهادة بعناوين مختلفة لعلي أصل إلى الموضوع من جميع زواياه، فكان الأمر كالتالي:

2- الشهادة والنكبة والهزيمة: وقد استشهدت بنصوص شعرية تبين حال العرب والمسلمين وما أصابهم من هزائم بسبب خيانة البعض وفسادهم وولائهم للأعداء، وقد أظهرت مرارة هذه الهزيمة وآلامها من خلال هذه النصوص.
3- الشهادة والمنفى: وقد عرضت النصوص الشعرية التي تتحدث عن المنفى، والتي يشكو فيها أصحابها من آلام الغربة، فيمزجون شجونهم بحنينهم إلى الوطن، وبحلمهم بالعودة إليه، وربطت ذلك بالشهادة.
4- الشهادة والقتل والمدافعة: وقد أبرزت من خلال النصوص الشعرية المختلفة كيف فرض الواقع الأليم نفسه على أحاسيس الشاعر، فحول شعره إلى أداة حرب، أو رسالة استنفار للمقاومة، وقد وصل الأمر ببعض الشعراء لأن يكون هو المدافع والمقاوم والشهيد.
5- الشهادة والنظام العربي الرسمي والشعبي: وقد اخترت نصوصاً شعرية انتقدت الأنظمة العربية الحاكمة، وجيوشها المعطلة بسبب تخاذلها وعدم استجابتها لاستغاثة أخوانهم الفلسطينيين، أما على المستوى الشعبي فقد أظهرت النصوص الشعرية أن الأمة العربية لم تتأثر بالمذابح التي ارتكبت بحق الفلسطينيين لأنها أمة نائمة مستسلمة، ومنها ما دعا الأمة العربية لأن تستفيق من غفلتها وتشعل الثورة.
6- الاستشهاد والحالة الاجتماعية: وقد أبرزت من خلال النصوص الشعرية أسطورة الشعب الفلسطيني البطولية الذي واجه سياسة الحصار والتجويع والتهديد والتدمير والتعذيب.
7- الاستشهاد والحالة الوطنية: وقد أوضحت من خلال النصوص الشعرية التي عرضتها مدى تعلق الفلسطينيين بوطنهم، وعشقهم له، وتضحياتهم من أجل تحريره.
8- الاستشهاد والحالة الدينية: وقد أبرزت النصوص الشعرية المختارة أثر الدين الإسلامي في دفع عجلة الجهاد إلى الأمام، وتشجيع المقاومة.

9- ثقافة الاستشهاد: وقد تناولت الحديث عن هذه الثقافة عند الفلسطينيين من جوانب عديدة: منها ما يتعلق بعقيدتهم وإيمانهم، ومنها ما يبرز بعض الصور التي تعزز هذه الثقافة، ومنها الدور الإعلامي في نشر هذه الثقافة، ومنهـا الـدعم المـادي والمعنوي الذي يدعم هذه الثقافة، ثم سقت بعض الشواهد الشعرية التي تؤيد مـا ذهبت إليه سابقاً مع التحليل.

أما الفصل الثالث فقد عالج شعر الشهادة من الناحية الفنية، فتناول الجوانب التالية:

1- اللغة: وقد بينت أن الجمال هو وظيفة اللغة عندما تدخل في صناعة الـشعر، ثـم ذكرت سمات اللغة في شعر الشهادة كالتالي: التكرار اللفظي للأفعال والأسـماء والجمل، وذكر أسماء الشهداء والأماكن، والتأكيد على معاني الألم والظلم والقهر، ثم استخدام الألفاظ الدالة على الشهادة، وقد بينت كل سمة من خلال النـصوص الشعرية مع الشرح والتوضيح.
2- المثيرات الأسلوبية: وقد توقفت عند بعض المثيرات الأسلوبية من خلال عرضي لبعض النصوص الشعرية كتكرار بعض الألفاظ والمشتقات، أو الانتقال من جـو إلى آخر مختلف، أو الاقتباس أو الحكمة، أو استخدام ألفـاظ مبتذلـة أو شـعبية عامية، أو تحمل رمزاً معيناً، أو الاهتمام بالقافية على حساب المعنى.
3- الصورة الفنية: وقد تحدثت عن أهمية التصوير في الشعر، وذكرت أن الـصورة المبتكرة المبدعة هي الأكثر قبولاً وإعجاباً عند المتلقي، ثـم بينـت أن الـشاعر الفلسطيني رسم صوراً عديدة للشهيد، ثم تناولت تراسل الحواس، وقد أيـدت مـا سبق بشواهد شعرية قمت بالوقوف عند الجمال الفني فيها.
4- الإيقاع والموسيقى: وقد بينت أن الوزن والقافية من أهـم عناصـر الموسـيقى الشعرية، وأن الأصوات الشعرية قد تعددت لتعدد البيئات والثقافات، فمن الشعراء من حافظ على الصوت العمودي الكلاسيكي في شعره، ومنهم من استخدم التفعيلة في البحور الصافية، ومنهم من جمعوا الصوتين معاً.

وفي الفصل الرابع والأخير تناولت موضوع التفـاعلات النـصية، وذكـرت أن الشاعر الفلسطيني وظف التراث في إطار الإسقاطات السياسية، وأن التنـاص بـرز واضحاً من خلال استدعاء الشخصيات التاريخية أو الأسماء الأسـطورية، أو طـرق موضوعات سابقة معروفة في التاريخ كالهجرة النبوية وتغريبة بني هلال وغيرهمـا،

أو ذكر المعارك والحروب، أو أسماء الأماكن، أو الاقتباس من القرآن الكريم أو التضمين من الأحاديث الشريفة أو الشعر أو الأمثال الشعبية.

هذا وقد توصلت من خلال دراستي لهذا الموضوع إلى نتائج أُجمل أهمها فيما يلي:

1- تحظى الشهادة بأهمية عظيمة في حياة الفلسطينيين عامة والشعراء الفلسطينيين خاصة، فقد برز واضحاً تعلق هؤلاء الشعراء بالوطن وتوقهم للشهادة، وقد جسد كثير منهم هذا التعلق قولاً وعملاً، فبالإضافة إلى قصائدهم التي تتغنى بالشهادة، قاوموا العدو، فنالوا شرف الشهادة.

2- مزج الشعراء حديثهم عن الشهادة بالحديث عن القضية الفلسطينية من جوانب عديدة: سياسية وعسكرية واجتماعية ووطنية ودينية، وقد أصبحت الشهادة ثقافة عامة عند الفلسطينيين.

3- ربط الشعراء الفلسطينيون شعر الشهادة بالطبيعة والبيئة الفلسطينية كما ربطوها بالتراث.

4- مفهوم الشهادة متقارب جداً عند جميع الشعراء الفلسطينيين على اختلاف أطيافهم السياسية، وقد أجمعوا على أن المقاومة والشهادة هما طريق تحرير فلسطين، ويكاد أن يكون موقفهم واحداً تقريباً تجاه تخاذل العرب على المستوى الرسمي والشعبي في التفاعل مع دماء الشهداء.

5- تفوق شعر الشهادة في شعر التفعيلة على الشعر العمودي من حيث الكم والوضوح والعاطفة، وقد كان حضوره في شعر الرجال أكثر من شعر النساء.

6- ازداد شعر الشهادة انتشاراً وقوة بعد انتفاضة 1987م، والذي ساعد على ذلك اشتعال الأحداث، وازدياد عدد الشهداء، ثم امتد هذا اللون من الشعر إلى انتفاضة الأقصى التي سقط فيها الكثير من الشهداء الذين كان فيهم القادة الفلسطينيون الذين كان لهم الدور الأبرز في الانتفاضتين.

7- ذكر الشعراء الفلسطينيون أسماء الشهداء في شعرهم تخليداً لذكراهم، وتمجيداً لتضحياتهم.

8- برزت لشعر الشهادة سمات منها: ظاهرة التكرار، وذكر أسماء الشهداء والأماكن، والتأكيد على معاني الألم والظلم والقهر، والتركيز على معاني البطولة والفداء والتضحية، واستخدام الدلالات والإيحاءات والرموز، واستخدم الألفاظ الدالة على الشهادة.

9- أبدع الشعراء الفلسطينيون في تصوير الطفولة المذبوحة، والأشلاء الممزقة، والدماء المسفوحة، فجعلوا منها وقوداً للثورة، ومهراً للحرية، وبشائر للنصر، وأنها تحمل رسائل للأحياء بعدم التنازل عن الحقوق، والتمسك بالثوابت الفلسطينية وأنها لعنة على الأعداء.

10- تميز شعر الشهادة بتوظيف الرمز بدلالاته وإيحاءاته المتعددة لإبراز كفاح الفلسطينيين ونضالهم، وإنسانية ثورتهم، وقد اعتمد الشعراء الفلسطينيون على العقيدة الإسلامية، وعلى التراث العربي العريق، وعلى الثقافات الأخرى القديمة والحديثة.

11- كشفت الدراسة النقاب عن كثرة عدد الشعراء الفلسطينيين، وأبرزت عدداً غير معروف منهم أبدعوا في رسم صور الشهيد والدماء والجراح.

12- برزت القضية الفلسطينية واضحةً في الشعر الفلسطيني بشكل عام، وبرز الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين بشكل خاص، حيث أظهر هذا اللون من الشعر الإجرام الإسرائيلي الظالم، ضحاياه الفلسطينيين أصحاب الحق.

13- تميز هذا اللون من الشعر ببعده عن البكائيات إلى موضوعات إنسانية رغم حجم المأساة الفلسطينية واستمرارها.

14- رسم هذا اللون من الشعر ملامح الشخصية اليهودية العنصرية المحتلة التي تتفنن بالقتل، وليس لها علاقة بالإنسانية من قريب أو بعيد.

15- أسهم شعر الشهادة بشكل واضح في إبراز قدرة الشاعر الفلسطيني على الإبداع والتميز بالمشاعر الإنسانية، والتمسك بالهوية العربية والإسلامية دون تعصب أو تضخيم لحجم المأساة التي يعيشها الفلسطيني.

16- ظهر الأثر الديني واضحاً في شعر الشهادة من خلال المعاني والألفاظ والاقتباس التي احتوتها كثير من القصائد الشعرية.

17- تميزت صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر بأنها صورة غنية ثرية، متعددة الجوانب والمعاني والألوان، والأصوات والدلالات والرموز، وأن الشاعر الفلسطيني استخدم في رسمها كل ما حوله من أدوات، ونباتات وأسلحة، ومواقع طبوغرافية، وأماكن ذات خصوصية.

18- إن أكثر الشخصيات حضوراً في هذا الشعر شخصية خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، وطارق بن زياد.

وأرجو في النهاية من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذا العمل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر: (الدواوين)

- إبراهيم المقادمة: 1- ديوان لا تسرقوا الشمس، مجلس طلاب الجامعة الإسلامية بالتعاون مع شركة أمجاد.
- أبو النصر التميمي:2- أفياء الكروم، دون، 1994م.
- أحمد دحبور: 3- بغير هذا جئت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين،بيروت 1977م.

4-حكاية الولد الفلسطيني.

- المتوكل طه: 5- فضاء الأغنيات، دار النورس الفلسطينية للصحافة والنشر والتوزيع، القدس، 1989م.
- أنور عبد السلام: 6- يا دار.. يا دار، الاتحاد العام لطلبة فلسطين، بغداد 1970.
- باسم الهيجاوي: 7- ليالي الدم والسوسن، دون، ط1، 1992م.
- حسين مهنا: 8- تمتمات آخر الليل، مؤسسة الثقافة الفلسطينية، عكا، ط1، 1988م.
- 9- قابضون على الجمر.
- خالد سعيد: 10-حجر وشجر، دون، 1990م.
- خضر أبو جحجوح 11- أعط العصفورة سنبلة الحب وواصل، مكتبة اليازجي، غزة، ط1، 2007م

12-. صهيل الروح، مركز العلم والثقافة، النصيرات، ط1، 1997م.

13- عرس النار، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000م.

* - خضر محجز: 14- اشتعالات على حافة الأرض، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، غزة، 1995م.

* رشاد الصغير: 15-محطات، مكتبة وزارة الأوقاف، الخليل، ط1، 2000م.

* رفيق أحمد علي: 16- الطوفان، غزة، 1993م.

17- النقش على الهواء، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، غزة، ط1، 1999م.

- - سلافة الحجاوي، 18- أغنيات فلسطينية، دار الحرية، بغداد، 1988م.
- سميح القاسم: 19- الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، 1973م.
- صالح عمر فروانة: 20- مفردات فلسطينية، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 2004م.
- صخر حبش: 21- دليلة، دار الدعوة، بيروت 1978م.
- عاطف أبو حمادة: 22- أرجوحة الروح، مكتبة دار الأرقم، غزة، 1998م.
- عبد الرحمن بارود: 23-غريب الديار، دار الفرقان للنشر والتوزيع، جدة، 1987م.
- عبد الرحيم محمود: 24- ديوانه، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، دار العودة، بيروت، 1974م.
- عبد الكريم السبعاوي:25- متى تُرك القطا، دار النورس للنشر، غزة، ط1، 1996م.
- عبد الكريم الكرمي: 26- ديوانه (الأعمال الكاملة) دار العودة، ط1، 1978م.
- عز الدين المناصرة: 27- لن يفهمني أحد غير الزيتون، شروق، القدس 1977م.
- علاء نعيم الغول: 28- بهنبهاي، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 1977م.
- علي الخليلي: 29- سبحانك سبحاني من طينك طوفاني، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط1، 1991م.
- علي هاشم رضا: 30 -رسالة إلى غزة، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، 1977م.
- فدوى طوقان: 31- الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، 1978م.
- كمال غنيم: 32- شروخ في جدار الصمت، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، غزة، ط1، 1994م.

33- جرح لا تغسله الدموع، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ط1، 2006

- كمال ناصر: 33- الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.
- مؤيد عثمان البحش: 34- الخيول تموت في ميادينها، اتحاد الكتـاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، 1974م.
- ماجد الـدجاني: 35- قمـر علـى شـباكنا، اتحـاد الكتـاب الفلسطينيين، القدس، ط1، 1999م.
- مريد البرغوثي: 36- فلسطين في الشمس، دار العودة، بيروت، 1974م.
- محمد حلمي الريشة: 37 - حالات في اتساع الروح، اتحاد الكتـاب الفلسطينيين، القدس، ط1، 1992م.
- محمد القيسى: 38- إناء لأزهار سارا.
- محمود درويش: 39-الأعمال الكاملة، دار العـودة، بيـروت، ط6، 1987م.
- محمود دسوقي: 40- صوت الانتفاضـة، دار الفكـر الجديـد للطباعة والنشر، القاهرة، 1991م.
- محمود مفلح: 41- إنها الصحوة.. إنها الصحوة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1988م.
- 42 - نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1991م.
- مصطفى الأغا: 43- اعترافـات، دار الطيـف، القـاهرة، 1997م.
- مي صايغ: 44- إكليل الشوك، دار الطليعـة، بيـروت، 1969م.
- نايف الرجوب: 45- باقات زهور من مرج الزهـور، دون، ط1، 1994م.
- هارون هاشم رشيد: 46- عودة الغربـاء، منـشورات المكتـب التجاري الحديث،بيروت، ط1، 1956م.
- 47 - ثورة الحجارة، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع، تونس،ط1، 1988م.

- 48- قـصائد فلـسطينية، دار مجـدلاوي، عمان، ط1، 2003م.
- 49- الأعمال الكاملة.
- وسيم الكردي: 50- وازدان بحرك بالحناء، اتحاد الكتـاب الفلسطينيين، القدس، ط1، 1989م.
- ياسر الوقاد: 51- قناديل ملونة، مركز العلم والثقافة، ط1، 2003م.
- يوسف الكحلوت: 52- مختارات من شعر انتفاضة الأقـصى المباركة غزة، فلسطين، المكتبة المركزية، 2002.
- يوسف المحمود: 53 - زغاريد على بوابة الـصباح اتحـاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 1989. .

المراجع

القرآن الكريم

1. أبو الحسين أحمد إبن فارس إبن زكريا، معجم المقاييس في اللغـة،دار الفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994م.
2. أبو الفضل جمال الدين إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج3.
3. أبو داود، السنن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،ط2 ، 1417هـ، 1996م.
4. أحمد الدمياطي، تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد،تهذيب صلاح الخالدي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الإردن، ط1، 1999م.
5. أحمد الزغبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2000م.
6. البخاري، الجامع الصحيح، دار طوق النجاة.
7. جواد الحمد، المدخل إلى القضية الفلسطينية، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1997.
8. بسام الصالحي، الزعامة السياسية والدينية في الأرض المحتلة، واقعهـا وتطورهـا 1967-1993، القدس، دار القدس للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
9. إيمانويل راتييه، إرهابيو إسرائيل، ترجمة حياة الحويك عطية، جمعية عمـال المطـابع التعاونيـة، عمان، ط1، 2001،
10. حرب يونيو 1967 بعد ثلاثين سنة.
11. سلمى الجيوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 ، 1997.

12. سليمان صالح، الانتفاضة الفلسطينية ثورة الذات الحضارية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1992.
13. سيد قطب،في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط9، 1980م: 2.
14. شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1968م.
15. صالح أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، دراسة نقدية، المؤسسة العربية للدراسـات والنشر، ط1، 1979.
16. صالح الرقب، نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان، مركـز النـور للبحـوث والدراسـات، غزة،ط1، 2002م.
17. صوت الانتفاضة، دار الفكر الجديد للطباعة والنشر، القاهرة 1991.
18. عبد البديع عراق، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، مؤسـسة الأسـوار، عكـا، ط1، 2002م.
19. عبد الله الغذّامي، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998.
20. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ط2، 1972م.
21. العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله، تحقيق إياد خالد الطباع، دار الفكر، دمشق، 1996م.
22. غسان عبد الخالق،الحال الفلسطيني بعد ثلاثين عاما من حزيـران 1967، مؤسـسة عبـد الحميـد شومان، عمان الإردن، 1998م.
23. محسن محمد صالح،فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية،مركز الإعلام العربي، الجيزة، ط1 ،2003م.
24. محمد الجعافرة، التناص والتلقي، ، دار الكندي، ط1، 2003م.
25. محمد الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج6، 1996م.
26. محمد الزبيدي،تاج العروس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ج6 ،1969م.
27. محمد الغزالي، خلق المسلم، دمشق- بيروت، دار القلم، ط2، 1980.
28. محمد حافظ الرهوان، التخطيط لمواجهة الأزمات والكوارث، ومكافحـة الإرهـاب، هـلا للنـشر والتوزيع، الجيزة، ط1، 2006.
29. محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، دار الفكر، دمشق، ط2، 1997.
30. محمد شحادة عليان، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحـديث، دار الفكـر، عمـان، ط1، 1987م.
31. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، دار الفكر، ط1، 1976، ج2.
32. مسلم ، صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م.
33. مسند الشهاب القضاعي، باب إياكم وخضراء الدمن، ج3.
34. المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، ط1، ج1.
35. الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ج2 ، ط2 ، 1996م.
36. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، بيروت، ط5، 1978.

37. نايف حواتمة، أوسلو والسلام الآخر والمتوازن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيـع، دمـشق، ط1، 1998.
38. نزار ريان، أحاديث الشهادة والشهيد (رسالة ماجستير)، غزة، 1990م.
39. هيثم الكيلاني، القدس والحال الفلسطيني وقراءات في الأمن القومي العربي، مؤسسة عبـد الحميـد شومان، ط1، 1999م.
40. يحيى زكريا الأغا، إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر.
41. يوسف رزقة، أعلام شهداء المنطقة الوسطى، المكتبة المركزية، غزة،2004م.

الدوريات:

1- صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، فلسطين، عدد الثلاثاء 1997/12/25.
2- مجلة (ألف) عدد 4، 1984.
3- مجلة الإسراء، العدد التاسع، القـدس، دار الفتـوى والبحـوث الإسـلامية، نيسان1997م.
4- مجلة الإسراء، العدد الثامن والثلاثون، كانون أول2001م.
5- مجلة اللغة العربية، دمشق، مج 75، ج2، ذو الحجة 1420هـ.
6- مجلة رؤية، العدد الثامن عشر، نيسان2002م.
7- مجلة رؤية، العدد السادس عشر،غزة، الهيئة العامـة للاسـتعلامات، شـباط 2002م.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة البحث	ت
التمهيد: أولاً: فلسفة الحياة والاستشهاد في الإسلام	1
1- فلسفة الحياة في الإسلام	1
2- فلسفة الاستشهاد في الإسلام	4
ثانياً: المدافعة سنة كونية.	9
- فضل الجهاد والمجاهدين	11
ثالثاً: الإرهاب.	13
- حقيقة الإرهاب	13
- الإرهاب في الاصطلاح	14
- من هو الإرهابي؟	14
- الإرهاب والظلم	14
- الإسلام دين الرحمة	15
- موقف الإسلام من الإرهاب	17
- الإرهاب الإسرائيلي	19
الفصل الأول: هزيمة حرب 1967 وآثارها.	22
- حرب 1967	23
- حرب 1973	25
التحولات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية في الواقع العربي الفلسطيني	27
أولاً: التحولات السياسية	28
ثانياً: التحولات الاجتماعية	30
ثالثاً: التحولات النفسية	31
رابعاً: آثار هزيمة 1967 في الثقافة	33
خامساً: آثار الهزيمة في الشعر الفلسطيني.	35
الفصل الثاني: الدراسة الموضوعية لمضامين شعر الشهادة	38
1- الشهيد في اللغة	39
2- الشهيد في الاصطلاح	39
أولاً: الشهادة والهزيمة	40
ثانياً: الشهادة والمنفى	43
ثالثاً: الشهادة والقتل والمقاومة	49
رابعاً: الشهادة والنظام العربي الرسمي	54
خامساً: الشهادة والشعب العربي	58

سادساً: الشهادة والحالة الاجتماعية	**60**
سابعاً: الشهادة والحالة الوطنية	**64**
ثامناً: الشهادة والحالة الدينية	**70**
تاسعاً: ثقافة الاستشهاد	**73**
الفصل الثالث: الدراسة الفنية في شعر الشهادة	**76**
أولاً: اللغة	**77**
- سمات اللغة في شعر الشهادة	**78**
1- التكرار اللفظي	**78**
2- ذكر الأسماء: أسماء الشهداء، وأسماء الأماكن.	**79**
3- التأكيد على معاني الألم والظلم والقهر	**81**
4- استخدام التعبيرات الدالة على معاني البطولة والفداء والتضحية	**83**
5- الرموز والإيحاء	**86**
6- استخدام الألفاظ الدالة على الشهادة	**88**
ثانياً: المثيرات الأسلوبية	**91**
ثالثاً: الصورة الفنية	**98**
رابعاً: الموسيقى والإيقاع	**103**
الفصل الرابع: توظيف التراث في شعر الشهادة.	**110**
- أنواع التناص	**112**
أولا- الشخصيات	**113**
ثانياً- توظيف الأحداث التاريخية	**118**
ثالثاً- المعارك والحروب	**120**
رابعاً- التناص	**122**
خامساً- أسماء الأماكن	124
الخاتمة	**128**
المصادر والمراجع	**134**
الفهرس	**141**